الى القارئ

واجبنا خلق : عقلية جديدة !

من جملة المعاني البليغة والمقاصد القيمة التي احتواها الخطاب الذي ألقاه السيد الوزير الأول بآسم الحكومة التونسية يوم 9 فيفري المنصرم عند آفتتاحه أشغال الدورة العاشرة للجنة الاقتصادية الأممية لافريقيا ، ما يتعلق بطبيعة التخلف الذي تعانيه بلدان افريقيا وسبب البطء الذي تشكوه في نموها ، ذلك أنها اهتمت بالنظريات البراقة والمذاهب الرائجة في العالم المتمدن وأهملت حقيقة بديهية هي أن الانسان هو العامل الاساسي في ربح معركة التنمية وأنه من الواجب قبل كل شيء تعليمه وتربيته وصقل مواهبه حتى يقدر على وعي منزلته ويصبح منه العزم على تغيير ما بنفسه وما يحيط به .

ولئن بذلت بلدان افريقية كثيرة ، نعتبر بكل تواضع الجمهورية التونسية في مقدمتها ، مجهودات وأموالا لتعميم التعليم ونشره في أوجز الآجال . فحققت بذلك بعض اغراضها من حيث الكم ، فانها اخطأت اخطاء فادحة وذات نتائج وخيمة اجتماعيا واقتصاديا وربما سياسيا على طول المدى ، اذا اعتبرنا الكيف ونظرنا الى عقلية هؤلاء الآلاف المؤلفة من الشبان الذين تخرجوا في السنوات الاخيرة ، والى سلوكهم وبالخصوص الى مدى قابليتهم على التلاؤم مع وسطهم والاندماج فيه ، اي اذا نحن قيمنا هذا المجهود الجبار من حيث الجدوى ولم ننبهر بالارقام والاحصائيات والخطوط البيانية ...

ولعل هذا ما قصده السيد الهادي نويرة الوزير الاول ، عندما قال في صراحة وصرامة : « ولهذا يتعين على مدارسنا ان تطبق من المناهج التربوية ما يجعلها متفتحة على القرية وعلى الغابة وعلى منابت الاعشاب . وعليها أن تضع في صعيد واحد الكتاب وأداة العمل والدماغ والساعد حتى تتجنب إنشاء أمثال أولئك الذين يشمخون بأنوفهم لمجرد شهادات بسيطة نالوها ، فتضرب

أصابعهم العشر بالعطل ، ويرون من المزرى بهم العمل فى الحقول وكذلك فى المصانع » .

وهل من شهادة أفصح وحكم أعدل على مأساة الآلاف والآلاف من فتياننا وفتياتنا قضوا سنوات فى التعلم فلم يحصلوا إلا على قدر متواضع من المعلومات النظرية البعيدة عن وسطهم ، الغريبة عن مشاغل بيئتهم ومتطلبات وطنهم النامى ، من هذا القول الصادر عن مسؤول يعرف حق المعرفة أحوال افريقيا ويتصدى اليوم ـ فى بلاده ـ لعلاج المشاكل الكثيرة المتأتية عن عدم التلاؤم ـ منذ الاستقلال الى اليوم ـ ؟ بين التعليم فى محتواه ومناهجه وأساليبه البيداغوجية وسرعة انتشاره ونوعيته وبين معطيات البلاد الاقتصادية والاجتماعية والحضارية .

على أن قاعدة « الكم يفرز الكيف » سمحت بأن يتخرج من بين ملايين التلامذة بعض الآلاف من الجامعيين فهل كانوا عند حسن الظن وهل استجابوا الى داعى الواجب الوطنى فاضطلعوا بمسؤولياتهم ونهضوا بشعوبهم ؟ يجيب السيد الوزير الاول بقوله : « إن نخبنا المثقفة الذين تفتحت أفكارهم فى أجواء الجامعات الاوروبية والامريكية يتحتم عليهم أيضا أن يظلوا فى اتصال وثيق بواقع بلدانهم ولا يسعوا فى قلب ظهر المجن لشعوبهم ولا يغادروا أوطانهم فى بعض الاحيان طمعا فى التمتع بمستوى من العيش فى الخارج أرفع مما هو مقدر لهم نيله فى بلدانهم ، فكم من بلدان افريقية لها عدد من الاطباء من أبنائها فى الخارج أكثر مما لها داخل حدودها . ولا يخفى ما فى انجذاب ذوى الاختصاص التقنى للعمل الذى يدر رزقا أوفر من بالغ الضرر العائد على أقطارنا . فهو يدفعهم من الريف الى المدينة ومن المدينة الى البلد المصنع الذى يوجد دائما فى قارة غير قارتنا ... »

وهكذا يوضع مشكل هجرة الكفاءات بكل وضوح وندرك مع الأسف أن البلدان الافريقية والاسيوية تساعد فى الواقع البلدان المصنعة بأعز ما عندها أى بأدمغتها ! فاذا قلنا ان التعليم عنصر أساسى من عناصر التنمية وشرط حاسم لها وكان هذا التعليم فى الواقع السبيل الممهدة لهجرة الكفاءات العلمية أو لأغلبها فمعنى ذلك أن الأفق مسدود فى وجه بلدان العالم الثالث ولا تتعدى

تضحيات شعوبه أن توفر لبعض المحظوظين أسباب الرفاهية الشخصية والاشعاع الفردى بعيدا عن الاوطان !

وان الامر سيبقى كذلك ، انعدام جدوى ، وتفاوتا متزايدا بين العرض والطلب من حيث الكيف ، فى مستوى التعليم الاعدادى والثانوى ، وهجرة متفاقمة للاطارات العليا تستنزف طاقات بلداننا وتشل سعيها الى التقدم والتطور وتزيد البلدان المصنعة ثروة بشرية على ثروتها ، فى مستوى التعليم العالى ، ما لم ننظر الى شؤون التعليم والتربية ببلداننا العربية والافريقية والاسيوية نظرة ثورية ، فنتعلم أولا كيف نستقل ثقافيا وكيف نعتمد على أنفسنا ونثق بقدرتنا الذاتية ونتجاوز ما خلفته فينا العهود البائدة من جروح وعقد ، ونتفق على المحتوى الصحيح لأصالتنا ونضع الملامح الكبرى لحضارتنا ثم نستنبط الطرق والمناهج التربوية الكفيلة بتجسيم هذه القيم العليا فى ناشئتنا ، ولا يتسنى ذلك اذا بقينا على تعلقنا بالمفاهيم الموروثة الزائفة واقتصرنا على ترميم هيكل التعليم الذى وضع لعصر غير عصرنا ولبيئة غير بيئتنا .

وان الاصرار على التقليد الأعمى والتهافت على استيراد المحتويات الثقافية الاجنبية والاصغاء « الأعمى » الى ما يوحى به إلينا « الخبراء » الأجانب واستصغار آراء بنى جلدتنا ، لمجلبة للمآسى الاقتصادية والاجتماعية وتنكر لأبسط مبادىء الحضارة وأشرف القيم الانسانية .

فعسى أن يستخلص كل المسؤولين فى كافة البلدان السائرة فى طريق النمو العبرة من نتائج سياسة التعليم التى انتهجوها منذ أكثر من عشرة أعوام ويدركوا أن التعليم اذا أريد به الخروج من التخلف وتحقيق النهضة فى كل الميادين وجب تكييفه مع ضرورات المجتمع وتأصيله والملامة بينه وبين حاجات الاقتصاد ومطالب الروح القومية .

والواقع أننا لا نحتاج اليوم الى اصلاح جديد للتعليم أو الى اصلاح « اصلاح التعليم » بل نحن فى حاجة أكيدة الى خلق عقلية جديدة وبعث تربية وطنية صميمة .

محمد مزالي

الشباب التونسي

منزلته ـ واقعه ـ طرق النهوض به

بقلم : محمد مزالي

بمناسبة انعقاد المؤتمر السابع للحزب الحر الدستوري التونسي (من 19 الى 22 اكتوبر 1964) أعددت بطلب من الديوان السياسي تقريرا حول الشباب التونسي بوصفي آنذاك مديرا عاما للشباب والرياضة (من جانفي 1959 إلى نوفمبر 1964) ورئيسا للمجلس الأعلى للشباب الذى كان يضم كافة منظمات الشباب . وقد اعتمد هذا التقرير كوثيقة رسمية للمؤتمر ووزع على كافة المؤتمرين فى كتيب يحمل عنوان « تقرير حول الشباب » من دون إشارة الى كاتبه .

ونظرا لأهمية مشاكل الشباب وتفاقم بعض الظواهر السلبية التى أشرت إليها فى هذا التقرير واعتبارا لما تنصرف إليه اليوم نخبة من المسؤولين من علاج لقضايا الشباب وإعداد لمشاريع تتناول أساليب تنظيمه وطرق تكوين إطاراته ـ والحزب على أبواب مؤتمره الثامن ـ وإذ أن الحاجة إلى الغذاء الروحى والتوجيه الثقافى ما تزال قائمة بل متزايدة بتزايد غزو المذاهب الاجنبية وتفاقم ضغط التيارات الخارجية فقد رأيت إعادة نشره بمجلة « الفكر » على سبيل التذكير ، والدعوة لمحاسبة النفس ، والمساهمة فى تبين الطريق التى يجب أن نتعاون جميعا على تعبيدها فى وجه الشباب حتى يفوز بنفسه ويتربى تربية قومية أصيلة ويضمن لنفسه ولأمته المناعة .

محمد مزالي

♦ منزلة الشباب فى تونس :

ان منزلة الشباب فى الحزب الحر الدستورى التونسى منذ 30 سنة ممتازة لم تزدها الايام الا قوة وارتفاعا فكلما تعاقبت الاجيال وتتابعت حلقات الكفاح تجدد عزم الشباب وقويت روح الفداء فيه واندفع اندفاعا الى خوض معركة الكرامة والعزة سواء ضد الاستعمار أو فى سبيل الازدهار الشامل ٠

ولا شك ان فى ظروف انبعاث الحزب الحر الدستورى التونسى الجديد فى مؤتمر قصر هلال سنة 1934 ، وفى مذهبه الثورى والانسانى فى نفس الوقت وكذلك فى طرائق كفاحه وأصالة نضاله وفى ما كان يضطرم بين أضلع المحامى الشاب آنذاك الرئيس الحبيب بورقيبة من شعلة مقدسة وعزيمة حديد لتغيير ما بالبلاد والعباد ، ما يفسر هذه العلاقة العضوية المتينة وهذا التعاطف العميق بين الحركة الدستورية والشباب ويعلل احتلال فتيان الحمى وشباب البلاد الصفوف الامامية فى ملحمة النضال ٠

فمنذ ذلك اليوم الذى صدع فيه المجاهد الاكبر بكلمة الحق وأشع حوله الروح النضالية الحقيقية وفتح البصائر والابصار الى ما يجب أن تكون عليه رسالة الاحرار ويلتزم به المخلصون التفت حول الحزب الاجيال الصاعدة جيلا بعد جيل وتقدمت تركز مبادئه الخلاقة وتحقق اهدافه المتجددة رغم تنوع مراحل الكفاح وتطور أساليب العمل وكثرة الصعوبات والعراقيل وتصدت طلائعها فى ايمان وحماس ونخوة تذلل المستحيل وتدك معاقل الاستعمار لا تخشى السجن ولا الرصاص ولا ترهب العسف والارهاق فاستماتت فى الجهاد وضحت بريعان الشباب ونضارة الحياة وسقط فى ساحة الشرف العشرات والمئات من ابناء تونس البررة يهتفون بحياة تونس وحياة بورقيبة ٠

ولقد صهرت هذه التضحيات نفوس الشباب العامل وصقل الجهاد ملكاته وقوت السجون والمحن شخصيته فبرز من صفوفه فى كل طور من أطوار الكفاح نخبة انضمت الى الرواد الاولين وساهمت فى تحمل مسؤوليات التنظيم الشعبى ونشر الوعى بين الجماهير والاضطلاع بعبء القيادة والتوجيه ٠

هذه معجزة حزبنا لم يزل منفتحا فى وجه الشباب قائما على سواعد الشباب موجها الشباب وجهته المثلى فى الحياة ومستمدا من حماس الشباب وحميته أسباب البقاء والتجدد والفاعلية ٠

وليس ما نشاهده اليوم من تجدد اطارات الحزب وانسجامها فى نفس الوقت مع الرعيل الاول من المكافحين ، وما نلاحظه من ثقة متبادلة وتعاون مثمر خلاق الا دليلا آخر على تجاوب الحزب مع الاجيال الصاعدة وحرصه على ان تسهم فى

بناء الدولة وتشييد المجتمع الجديد ، وتلعب دورها كاملا فى صنع التاريخ ، وسرا من أسرار قوة الحزب ومناعته وتضاعف امكانياته وتعاظم طاقاته فى طور البناء والتشييد بعد أكثر من ربع قرن اتجه فيه بكليته الى تقويض أركان الاستعمار ودك معالمه وتبديد قواه ٠

ولقد تجلى من جديد ايمان الحزب بالشباب غداة الاستقلال عندما تسلمت الأمة مقاليد الحكم وارتضت النظام الجمهورى وغالبت وغلبت « مشاكل النصر » فكان الاعتماد على الشباب الذى تحمل مسؤوليات عظمى فى بناء الدولة وتركيز النظام الجمهورى بكل ايمان وحماس وتفاؤل وانضم الى إخوان له سبقوه فى الكفاح يطهرون الادارة من مخلفات الاستعمار ويمسكون بدواليبها ويوجهونها الوجهة التى تضمن لابناء الوطن العزة والسيادة ، فاستطاعت تونس بذلك ان تحقق لنفسها ما لم تحققه بلاد كثيرة حديثة عهد ـ مثلها ـ بالاستقلال من تصفية لرواسب الاستعمار واعتماد على النفس فى تسيير شؤونها حتى أصبحت مضرب الامثال فى جدها وقوة عزيمتها وسيرها قدما فى طريق النمو الاقتصادى والتقدم الاجتماعى والتطلع الى الغد الافضل ٠

وان ما حققناه من انجازات فى الميدان الاجتماعى والاقتصادى فى نطاق المعركة الكبرى ضد التخلف التى وضع خطوطها مؤتمر النصر بسوسة حيث وقع التنويه بدور الشباب وجسامة مسؤوليته ـ كما نص على ذلك الميثاق ـ لخير دليل على استجابة الشباب لنداء الحزب اذ أمد الدولة بالاطارات والفنيين ولم يبخل عليها بالرواد الذين حققوا بحماسهم وعملهم اليدوى والفكرى مشاريع عملاقية ومهدوا الى الوثبة العارمة التى سجلتها البلاد فى السنين الاخيرة ٠

وان ما رسمه الحزب لنفسه وارتضاه للوطن غداة مؤتمر النصر من أهداف اشتراكية منظمة و « معقولة » بواسطة تخطيط شامل أقره نهائيا المجلس الملى المجتمع فى مارس 1962 لجدير بأن يستحث همم الشباب ويدفعها الى المزيد من الحماس والعمل الايجابى ، اذ هو يجد فيها الغذاء الروحى الذى يتطلع اليه بقلبه وعقله بقدر تطلعه الى مستقبل بسام ، ويتخذها اطارا طبيعيا لعمله الثورى ومطمحا شرعيا لنزعته السخية الى الخير والحق والعدل والاخاء والكرامة البشرية ٠

وبفضل هذا « الحوار » بين الكهول والشباب تجتنب البلاد التونسية التحجر الذى تعانيه الشعوب المحافظة ، المحرومة اطارتها من الخيال الخلاق ،

المتجهة نخبتها بأنظارها الى الامس الدابر ، وتجتنب كذلك الفوضى و (الانتفاضات) العنيفة التى نشاهدها فى بعض البلدان التى لم يوفق شبابها الى الانسجام مع الواقع والتعاطف مع الاجيال التى سبقته ، ولم يفز فيها بمذهب ثقافى اقتصادى واجتماعى ينير حياته ويكسبها معنى ساميا وغاية بعيدة .

فالشباب فى تونس غاية معركتنا ووسيلتها فى آن واحد وهو مستلهم القيم العليا الحريص على تجسيمها فى الواقع معا ، بهذا يمتاز وفى ذلك عنوان فخره وسبب سعادته .

• واقع شبابنا :

والى جانب الشباب الدستورى أو الشباب المنضوى تحت لواء الكشافة أو اتحاد الطلبة والمصائف .... الذين وفقوا كلهم أو أكثرهم الى تحمل مسؤولياتهم كاملة فان هناك عددا كبيرا جدا من الفتيان والفتيات لم يشملهم العمل المنظم ولم تدركهم العناية الكاملة .

ولا غرو اذ أكثر من خمسين فى المائة من سكان الجمهورية سنهم دون العشرين ونسبة تزايد النسل السنوى تتجاوز اثنين ونصفا فى المائة بحيث يصعب فى نفس الوقت مواجهة الحاجات الجديدة وتلافى ما ورثته البلاد عن عصور الانحطاط وعن ثلاثة أرباع قرن من الاستعمار وما خلفه كل ذلك من فقر وفاقة وتداع فى الصحة والاخلاق ومن جهالة وأمية ومن تشويه فى التعليم وتسميم فى الثقافة بالنسبة للقلة المحظوظة التى أمكنها مزاولة تعليمها ورفع مستوى انسانيتها .

ولسنا فى حاجة الى تشخيص الحالة الناتجة عن التخلف الموروث ولا الى ذكر ما نتج وينتج عن الفترة الانتقالية التى يجتازها المجتمع التونسى بالنظر الى هذه النواحى السلبية التى تعرقل العمل الاصلاحى الجبار الذى أقبلت عليه تونس حكومة وحزبا وشعبا والرامى الى تطوير اوضاعنا الاجتماعية وضبط القيم العليا التى يجب ان ينتسب اليها مجتمعنا ويهتدى شعبنا بهديها ويكفى ان ننبه الى ما يخلفه انتشار الأمية فى جزء كبير جدا من الشباب من عدم ثقة فى النفس وانعدام الكفاءة المهنية وزهد فى العمل والانتاج وبالتالى من تضخم نسبة السكان الذين لا يساهمون مساهمة إيجابية فى تنمية الثروة

القومية • وتتفاقم هذه الحالة وتشتد وطأتها عندما نتذكر أن العدد الكبير من هؤلاء الشبان لم تتوفر لديهم أسباب التغذية السليمة والمسكن اللائق والوقاية من الامراض المنهكة والتكوين الجسمي والاخلاقي الصحيح •

غير أن الحزب عالج هذه الجوانب السلبية فى نطاق المعركة الكبرى التى تخوضها الأمة للقضاء على التخلف وانكب ينهض بمستوى الافراد ويغذى القيم الاخلاقية ، ناهيك ان المجاهد الاكبر خص هذا الموضوع الحيوى بخطب منهجية كثيرة •

وانجر عن هذا المجهود الاصلاحى الشامل ما يحدث بطبيعة الحال فى جميع المجتمعات التى تمر من طور الانغلاق والجمود الى طور الانفتاح والتقدم وتنهض لتجديد قيمها وبث الحياة فى كيانها من نتائج عكسية فى بعض الاحيان وفى بعض الاوساط مما يجب تداركه واجتناب أسبابه •

من ذلك ما حدث عن تحرير المرأة وانفتاح أعينها الى النور والحياة المشرقة من تعثر وتهافت بالنسبة لبعض النساء الأميات أو اللائى فهمن الحضارة والمدنية على غير وجه أو الفتيات اللاتى تلقين التعليم ولكنهن حرمن من التربية التى لا بد للوالدين من تغذية بناتهما بها ، فلم يدركن من الحرية والمدنية الا المظاهر السطحية وانحدرن شيئا فشيئا الى التفسخ فى الاخلاق والذبذبة فى الذوق وكان نصيبهن الضياع بكل معانيه • الامر الذى يهدد كيان العائلة واستقرار المجتمع • والحقيقة ان هذا التخلف الاخلاقى ليس خاصا بالفتيات فحسب بل مسؤولية الفتيان فيه لا تنكر فالكثير منهم لم يسهلوا على أخواتهم الخروج من طور اللامسؤولية الى طور الوعى بما يبثونه فى طريقهن من أشواك وبما يصدر عنهم من سلوك مشين يدل على ضعف مستواهم وعدم أهليتهم لخوض الحياة الاجتماعية المتمدنة القائمة على الشعور المرهف بتكافؤ الحقوق مع الواجبات • ونؤكد مرة ثانية فى هذا الصدد قصور بعض الاباء عن القيام بواجباتهم ازاء بنيهم وتقلص سلطتهم وتناقص هيبتهم اذ هم لم يقوموا بواجبهم ولا ضحوا بشىء من راحتهم ولذاتهم حتى يكونوا خير مثال لابنائهم معتقدين ان المدرسة تغنيهم عن القيام بهذا الواجب وليس سبب هذا السلوك راجعا الى قصور العائلة أو تقصيرها فقط بل هو أيضا نتيجة لعدة ظواهر أصبح يقاسيها مجتمعنا الذى يمر بفترة تحول فى هياكله الاقتصادية والاجتماعية ويعانى أزمة التطور السريع الذى نلاحظه فى المعتقدات والمثل والمقاييس التى تقيم سيرة الافراد وتركز تصوراتهم الذهنية فتكون البلبلة عميقة وقاسية بالخصوص فى المجتمعات التى سريعا ما تنتقل من حال الى حال

أو من بيئة الى بيئة فتفقد بذلك توازنها وانسجامها الذاتي وطمأنينتها الموروثة فيصبح الافراد كالغرباء بين ذويهم يتساءلون بصفة شعورية أو لا شعورية عن سر الكائنات ومعنى الوجود ولا يجدون في اكثر الاحيان جوابا شافيا ٠

ولعل الشبان النازحين من الارياف الى المدن قصد البحث عن الشغل ووسائل الارتزاق أصدق مثال لذلك فهم ينتقلون من عالم الى عالم بل من عصر الى عصر ويقاسون أزمة عنيفة في مستوى المفاهيم الاخلاقية كثيرا ما تؤدي بهم الى التشرد بكل معانيه وأبشع صوره وكثيرا ما يتفاقم أمرهم بما يستهدفون له من بطالة ويقاسونه من حرمان فتصبح كل الوسائل ممكنة ومباحة في سبيل الظفر بلقمة العيش ٠

ولا بد كذلك من الاشارة في هذا الصدد الى ما يجعل رسالة الاباء والمعلمين محدودة الفائدة وتأثيرهم على الجيل الصاعد نسبيا جدا فقد غزت السينما التجارية المدن الكبيرة والصغيرة وكشفت الافلام الرخيصة امام المراهقين عن سيئات ومآسي بعض البلدان المترفة وكثيرا ما أورثت فيهم قلة الحياء وانتفاء الوقار ووهن العزيمة إزاء النفس الامارة بالسوء وحملتهم على محاكاة ما يشاهدونه فيها من أعمال العنف والسطو والاعتداء والاغراق في الاباحية ٠ زد على ذلك ما نراه في الاسواق وفي غالب المكتبات من مجلات عربية اللسان وأعجمية ليس من هم أصحابها الا ملء جيوبهم باستبلاه الشباب ودغدغة غرائزه ٠ واذا أضفنا الى كل ذلك الاعلانات المثيرة ووسائل الاشهار الرخيصة والموسيقى الصاخبة المحمومة وتكاثر الملاهي والمقاهي التي كثيرا ما يسمونها « مقاهي الشباب » و « مقاهي العمل » و « مقاهي المستقبل » !!٠٠٠ وانتشار الخمور والكحول وضيق المساكن وانعدام ميادين اللعب والترويض في غالب الاحياء القديمة وحتى الجديدة بكل أسف ، أدركنا مدى تأثير هذه العوامل السلبية على الجيل الصاعد وانحدار العدد الكبير من الفتيان والفتيات الى حضيض المادة وبؤرة التفسخ وعرفنا كذلك لماذا يشكو المجتمع أزمة الضمير المهني في بعض الموظفين الشبان ولما كثرت النوازل العدلية وتورط حتى بعض التلاميذ انفسهم في قضايا السرقة والتعدي ٠ وقد نبه الى ذلك وشهر به السيد رئيس الجمهورية في خطابه الكبير الذي القاه يوم 19 جانفي 1964 بقاعة البالماريوم حيث أعطى بعض الامثلة ووصف هذه النماذج التي يشكوها مجتمعنا المتوثب ٠

على ان هذه المشاكل والجوانب السلبية من واقع الشباب التونسي انما ترجع في جوهرها الى حالة التخلف الموروثة عن الاستعمار والانحطاط كفانا وعيا بها وقدرة على علاجها عزم الأمة المجندة تحت راية الحزب في سبيل

القضاء على مظاهر هذا التخلف ودرء بعض النتائج الفاسدة التى لا بد ان تورثها مرحلة الانتقال الثورى • ويجدر فى هذا الشأن ان نذكر بأن سياسة تونس للتنمية لا تهدف الى تحقيق الازدهار الاقتصادى فحسب بل هى تسعى اولا وبالذات الى النهوض بالانسان فى جميع الميادين بما فيها الميدان الاجتماعى والميدان الثقافى •

وان ما اقدمت عليه تونس فى مجال رفع شأن الانسان ونشر النور والمعرفة وما حققته من انجازات فى هذا الصدد وطوته من المراحل ليعد مفخرة لنظامنا الجمهورى ومثالا جديرا بكل البلدان النامية أو تحذو حذوه وتسير على هديه • واذا تذكرنا أن ثلث ميزانية التصرف مرصود للتعليم بأنواعه وللتثقيف ورفع مستوى الشباب وترويضه أدركنا قيمة المجهود المبذول ومدى التضحيات التى يقدمها الشعب التونسى ليكون غده خيرا من أمسه • ذلك اننا ادركنا ان التخلف انما هو قبل كل شىء تخلف فى العقول وظلام فى النفوس وانه بقدر ما نفتح البصائر ونصقل المواهب وننمى الملكات ونقوى العقول ونرهف المشاعر ونزكى الاخلاق نمكن الانسان التونسى من الآلة التى بها يحسن من شأنه ويقضى على تخلفه ويتطلع الى غد افضل •

وهكذا فتحت آلاف الاقسام وقصدها مئات الآلاف من الاطفال والشبان وتكونت الافواج تلو الافواج من الاساتذة والمعلمين (*) وضبطت القواعد التى يتعين أن ترسى عليها ثقافتنا القومية الاصيلة بما فى ذلك من أحياء للتراث القومى وبعث للفنون الجميلة ونشر الآداب والمسارح على أساس اللامركزية حتى تشع الثقافة فى كامل ربوع البلاد ويستفيد منها كل المواطنين وفى مقدمتهم الشباب ولم يهمل الشبان الذين تعذر عليهم دخول المدارس بل أحدثت لفائدتهم مراكز تكوين صناعية يتعلمون فيها مهنة ويفوزون بشغل شريف ويصبحون مواطنين منتجين (**) ، ولم تخف على المسؤولين أهمية

(*) لم تبد المشاكل الناتجة عن التنمية الكمية الا فى السنوات الاخيرة : ضعف المستوى ، ازدياد عدد المدرسين الاجانب وتضاعف تأثيرهم ؛ ثم أنه اتخذت قرارات ترمى الى الرفع من شأن الفرنسية بعد سنة 1965 مثل برنامج سنة التربص بالنسبة لكافة المعلمين فى مدارس الترشيح ، فرنسة برنامج التاريخ فى هذه المدارس ، ادخال الفرنسية فى السنتين الاوليين بالمدارس الابتدائية •••

(**) ظهر فيما بعد ان عدد هذه المراكز دون المطلوب وان برامجها غير متلائمة مع الحاجة •

سلامة الشباب الجسمانية فاتجهت العناية الى وقايته من الامراض ورعايته منذ الصبا وتوفير التغذية السليمة له ٠

وقد أدرك الرئيس أهمية التربية البدنية والرياضية فى تكوين الشباب الجسمى والخلقى وبعد أثرها فى تنشيطه ومضاعفة طاقاته وهو رأس المال البشرى الذى عليه المعول لانجاح البلاد فى معركتها ضد التخلف ٠

فقد ألقى فى هذا المعنى السيد الرئيس خطابين أولهما فى 30 سبتمبر 1960 والثانى فى 28 جويلية 1962 وبين كيف أن التربية البدنية والرياضية لا يمكن أن يستغنى عنها الشباب فى قوامه واستقامته ونبه الى تحجر وخطر العقلية القديمة الرجعية التى كانت تنظر للبدن ولحركة البدن نظرة احتقار واشمئزاز وأكد أن شباب تونس الجديدة يجب أن يجدد طاقاته ويرفع مستواه لا بالعلم والثقافة فحسب بل كذلك بتعاطى الرياضة على وجهها السليم ٠

ويجدر أن نذكر فى هذا المعنى بالمجهود المبذول من أجل غرس هذه النظرة الجديدة للرياضة ونشرها وتوفير أسباب ممارستها فى جميع جهات الجمهورية، من أجل مقاومة ما ورثناه عن الاستعمار والماضى البغيض من تعصب أعمى وتهافت مقيت يصدران عن بعض اللاعبين أو المسيرين أو المتفرجين يحسبون أنفسهم رياضيين بل ان الجمعية الرياضية يجب أن ينظر اليها باعتبارها خلية اجتماعية لها وظيفة سامية ألا وهى المساهمة فى تربية الشباب التونسى وتقويمه بدنا وعقلا وروحا ٠

وقد أحكمت أسباب النهضة الرياضية واعتمد فى ذلك بالخصوص على المدرسة نظرا الى ان الاغلبية الساحقة من الاطفال مرسمون فيها ٠ فتقرر فى هذا الصدد منذ سنة 1962 أن تدرس التربية البدنية والرياضية خمس ساعات بالنسبة للسنوات الاربع الاخيرة من التعليم الابتدائى وان يقوم بتدريس هذه المادة مدربون اخصائيون شرعت ادارة الشباب والرياضة فى تكوينهم واعدادهم منذ سنتين على أساس مائة مدرب فى السنة تقريبا ٠ ونظرا الى ان هؤلاء المدربين يطالبون بتخصيص اربع ساعات من وقتهم لتدريب الجمعيات الرياضية المدنية ومنظمات الشباب فاننا نكون قد تغلبنا فى نفس الوقت الذى نهىء فيه جيلا أسلم بدنا وأقوى عقلا وأزكى أخلاقا ، على أزمة الاطارات سواء بالنسبة للمسيرين أو الحكام أو الفنيين ٠ وتقرر كذلك تدريس مادة التربية البدنية والرياضية على أساس ثلاث ساعات بالنسبة للمعاهد

الثانوية (*) ونأمل ان يستمر هذا المجهود وان يمتد الى التعليم العالى فنكون بذلك قد كونا شبابا ناشطا متصفا بالقوة والحيوية لا يقضى أوقات فراغه فى ما لا ينفع بل يقصد فى أوقات فراغه الملاعب والمسابح وينشد الهواء الطلق وينسى همومه واغراءات المدينة بواسطة هذا الذى سماه شاعر تونس أبو القاسم الشابى (العبث البرىء) ٠

◆ **البيئة الثالثة :**

وهكذا ينتهى بنا التحليل الى أهمية البيئة الثالثة فى حياة الشباب واذا كان واقع الشباب يشكو كما بينا بعض النواحي السلبية رغم المجهود الجبار الذى تعرضنا له فى ايجاز فلان البيئة الثالثة لم يتم بعد تنظيمها والسيطرة عليها تماما ٠

قال المجاهد الاكبر فى خطابه المؤرخ فى 28 جويلية 1962 : « يمر الشباب حتما بطور ثالث لا يكون فيه ضمن بيته العائلى ولا فى المدرسة ولا بـه من رعايته فى هذا الطور وعدم ارساله على هواه تائها فى عرض الشوارع خاصة وقد أخذ النفوذ العائلى والسلطان الأبوى فى الضعف والتلاشى أمام نزعات الحرية الشخصية وتياراتها المختلفة ٠ والبيئة الثالثة فى حياة النشء وهى كما قلت البيئة الواقعة بين الوسط العائلى والوسط المدرسى اتسع اليوم نطاقها أكثر من ذى قبل وأصبح من الاكيد ملؤها حرصا منا على ان يطرد التهذيب فى جميع الاطوار التى يمر بها النشء وان لا يفسد فيه التكوين العائلى والتكوين المدرسى وان نسعى فى تمكين التعاون بين الجهود المختلفة فى البيت وفى المدرسة وفى الجمعية الرياضية ومختلف منظمات الشباب وعلى هذا الاعتبار لزم أن تضطلع الدولة بمسؤولياتها بحكم ارتباط هذا الموضوع بالمصلحة العليا للأمة ومستقبل النشء التونسى والرغبة فى تهذيبه ورفع مستواه ٠ وموضوع كهذا لا سبيل لأن تتركه الدولة لرحمة الهوايات والنزعات الفردية ولا أن تعرضه للتناحر والاغراض والتزاحم الاهوش ٠٠٠ »

وذلك معناه انه اذا كان من الضرورى تعليم الشباب وتثقيفهم ووقايتهم من الامراض وتوفير الشغل الشريف عن طريق النهوض الشامل بالبلاد من الناحية الاقتصادية وبواسطة التصنيع خاصة فانه من الحتمى كذلك اذا ما رمنا

(*) يضاف الى ذلك ثلاث ساعات أسبوعية بالنسبة للجمعية الرياضية التابعة لكل ثانوية وكذلك ساعتان تدريب للنخبة الرياضية ، هذا متى توفر الاطار طبعا ٠

تربية هذا الشباب تربية متواصلة وشاملة وتكوينهم تكوينا وطنيا اشتراكيا يمكنهم بالضبط من مساهمة أوفر وأطول نفسا وأشد فاعلية فى مجهود البلاد الاقتصادى من الحتمى ان نعتنى بهم فيما يسمى (بالشارع) فنتمم عمل العائلة أو نقوم مقامها عند الاقتضاء – ونواصل عمل المدرسة ، ونجلب فتياتنا وفتياننا بواسطة أساليب شتى من الترويض والترفيه الى المساهمة فى نشاط إيجابى مزدوج الفائدة نصونهم به – اولا – مما يهددهم من عوامل التفسخ والانحطاط الأخلاقى والتدهور الاجتماعى – وثانيا – نرفع به مستواهم من الوجهة القومية والانسانية فيعودون الى ذويهم من المدرسة وهم أقوى ما يكونون استعدادا للعمل والانتاج وأشد ما يكونون حماسا لخدمة الوطن وتوطيد اركان الاشتراكية والتقدم .

ورغم ضيق الامكانيات وتعدد الحاجيات وعملا بالتوجيهات التى ضمنها الرئيس فى خطابه المؤرخ فى 30 مارس 1961 فقد رصد المخطط الثلاثى اعتمادات الغاية منها تشييد عدد من دور الشباب والمضائف ومراكز تكوين اطارات الشباب وجملة من الملاعب وميادين الرياضة ولئن تعذر انجاز كل ما تقرر بناؤه فى المخطط الثلاثى لعدم توفر الاعتمادات دائما فان ما تم كان نصيبه النجاح وساهم فى نشر الوعى بضرورة الاعتناء بالبيئة الثالثة ووضعها بالنسبة لسلم تأكد الحاجات فى المقام الاول (*) . ذلك ان الجميع لاحظوا اقبال الشباب المثقف والعامل على دور الشباب التى تم تشييدها برادس وسوسة والقيروان وقفصة) .... (*) كما لاحظوا تقارب مختلف عناصر الشباب الى بعضها بعض وتألف قلوبهم وصرف حماسهم فيما يعود عليهم وعلى وطنهم بالفائدة .

على ان نجاح هذه الخطة متوقف ايضا على قيمة الاطارات وعددهم ، وهم المسؤولون سواء على هذه التجهيزات نفسها أو على حظوظ منظمات الشباب أيضا .

ولا بد من مواصلة المجهود المبذول فى ميدان (البنية الاساسية) وفى مجال تكوين الاطارات بل لا بد من مضاعفته فى نطاق المخطط الرباعى اذ غاية الحزب

(*) نلاحظ بكل أسف أنه منذ 1965 لم يبن عدد كبير من هذه المؤسسات .
(*) نلاحظ للأمانة التاريخية ان دور الشباب بصفاقس وبنزرت والكاف والقصرين وتونس شرع فى بنائها قبل سنة 1965 .

وأمنية الشعب هي أن تهدف سياسة الشباب في البيئة الثالثة الى تحقيق الشمول بحيث تستوعب منظمات الشباب عددا من المنخرطين يفوق العدد الحالي بعشر مرات على الاقل (*) أو ان يشمل نشاطها سواء في نواديها بالذات او في ملتقياتها ومخيماتها أو في الملاعب والمسابح أو دور الشباب أو المصائف أو المضائف هذا العدد فتوفر للمليونين من الشبان الذين تعدهم البلاد اليوم نشاطا نظيفا ورعاية ذكية ومجالا للتسامي وتجاوز الذات بل نوفر لهم بالخصوص هذه المدرسة التي لا تعادلها مدرسة أخرى وهي التي يتعلمون فيها واجباتهم كمواطنين وواجباتهم كبشر ويروضون النفس على ممارسة المسؤوليات التي تنتظرهم في مجتمعهم التونسي الديمقراطي التقدمي (*) .

• **تنظيم الشباب :**

اذا نحن عرفنا واقع الشباب وقدرنا منزلته في المجتمع حق قدرها واهتدينا الى الطريقة العلمية والعملية الناجعة لاستكمال تكوينه وتهيئته للقيام بوظيفته في تونس الغد فانه لا بد من الاشادة بالدور العظيم والمسؤولية الكبرى التي تحملها الأمة منظمات الشباب والرياضة وفي المقام الاول الشباب الدستوري والحقيقة ان هذه المنظمات قامت وتقوم في أغلبيتها بواجبها أحسن قيام سواء في طور الكفاح من أجل الحرية او في مرحلة البناء والتشييد . الا ان تجدد الاهداف وتشعب المسالك اقتضى إحكاما جديدا في تنظيم الشباب وأكد أكثر من ذي قبل ضرورة اتحاد هذا الشباب من أجل بلوغ تلك الاهداف وعلى أساس ميثاق يحدد ويضبط النموذج المثالي للشباب في تونس التائقة الى الكرامة ، الزاحفة نحو الاشتراكية والازدهار . وكان الملتقى الذي دعا اليه الديوان السياسي جميع منظمات الشباب في جويلية 1963 ببئر الباي تاريخيا حقا اذ وفق الشباب التونسي فيه الى وضع ميثاق يحدد واجباته نحو نفسه وما يجب ان يكون عليه من استقامة واعتدال وسلامة جسم وطهارة نفس ويحدد كذلك واجباته نحو الوطن من محبة واخلاص للأمة التي اليها ينتسب **وتعلق بالقيم الحضارية العربية الاسلامية باعتبارها من أشد وأهم مقومات تونس** ومن استعداد للذود عن حرمة الوطن وحماية النظام الجمهوري وكذلك من حماس

(*) أخشى ان يكون العكس هو الذي حصل !

(*) كثيرا ما تعلق المسؤولون في هذه المؤسسات بالوسائل الترفيهية كالرقص واللعب والرحلات والموسيقى (الهادئة وحتى الصاخبة !) وأهملوا اللب وأضاعوا الغاية التي يجب ان ترمي اليها هذه الوسائل .

للاشتراكية السليمة باعتبارها النظام الاجتماعي والاقتصادى الكفيل بتحقيق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص والكرامة فى أشمل معانيها ٠ ويحدد ثالثا واجباته من حيث هو بشر من تضامن مع الشباب المناضل فى العالم أجمع ومن عزم على التضحية من أجل بشرية مطهرة من الاستعمار والظلم والفاقة والميز العنصرى ، مبرأة من شوائب الحرب والاستغلال ٠ وانبثق عن هذا الملتقى أيضا اتحاد الشباب الذى يعد أداة تحقيق للشمول المنشود وضمانا لتقوية روح الالتزام فى صفوف الاجيال الصاعدة خاصة وانه يستمد وحيه من مبادىء الحزب ويعمل من أجل غايات الحزب مع تنوع الطرائق والاساليب والتشجيع على روح المبادرة ٠

وان الشباب الدستورى الذى أعيد تنظيمه هو أيضا منذ سنة على أساس الفاعلية ورغبة فى الشمول وتغذية جميع عناصر الشباب التونسى بالمبادىء الحزبية السليمة والروح النضالية العارمة ليحتل اليوم المكانة الاولى فى اتحاد الشباب ويقوم بدور المحرك الأساسى فى نطاق معركة البقاء ٠

فاذا رجعنا الى التنظيم الجديد للشباب الدستورى لاحظنا أنه مرتكز على أساس ترابى وكذلك على أساس اقتصادي او ثقافي وبذلك يوفر تكوينا مذهبيا واحدا لكافة أصناف الشباب بقدر ما يمكن كل صنف من وعى المشاكل الخاصة التى تعترضه فى ميدانه والتى يوجد لها المسؤولون حلولا ثورية فيدركها الشاب الدستورى ويتفانى فى العمل على تنفيذها فى ميدانه الخاص ٠

فبناة الجمهورية تعمل على حمل شبان المعامل والضيعات الفلاحية ووحدات الانتاج والادارة على وعى مشاكلهم والتبصر فى مقتضيات المعركة ضد التخلف وان ما ينظم لهذه الاصناف من الشبان من محاضرات ودراسات فى مستوى الخلية ومن ندوات وملتقيات فى المستوى الجهوى والقومى كفيل بأن يبعث فى أنفسهم الحماس الى أهداف المخطط بالاضافة الى روح النضال والتفانى التى يتلقنها الشباب الدستورى بفضل مثل هذا النشاط ٠ فالغاية هى اذن أن نجعل من بناة الجمهورية الذين كانوا بالامس القريب حماة الحمى دعاة الى الاشتراكية الدستورية والى ما تقتضيه من عمل اصلاحى فى الميادين الفلاحية والاقتصادية والصناعية والادارية ويجدر أن نشير الى العناية الخاصة التى يجب ان يوليها الشباب الدستورى المعلمين والاساتذة الشبان نظرا للدور الاساسى الذى يقومون به أو يجب أن يقوموا به فى مجال تربية الاجيال

الصاعدة ولانتشارهم فى كافة أنحاء الجمهورية ولأننا نأمل كذلك ان تتخرج من بينهم نخبة ملتزمة تجمع بين الثقافة والكفاءة وبين الحماس وروح النضال والتضحية حتى يرتفع بهم شأن البلاد ويقوى بفضلهم ساعد الأمة ٠

والشبيبة المدرسية تعنى بفتيان المدارس الاعدادية والثانوية وفتياتها الذين تجاوز عددهم هذه السنة ستين ألفا (*) والذين سيتخرج من بينهم الاطارات السياسية والثقافية والاقتصادية والفنية التى سوف تحمل البلاد على أكتفها وتمسك بمصير الأمة بعد سنوات معدودات ورغم حداثة اعادة تنظيم هـذه المنظمة فقد قطعت شوطا كبيرا فى تكوين أبناء المدارس تكوينا يهـدف الى التحزب والالتزام وغرس الوطنية والحمـاس ويستعمـل أسـاليب التثقيف والترفيه من رحلات ومحاضرات ورياضة وتمثيل وسينما كما توفر جميـع الامكانيات ليتيسر لهؤلاء التلاميذ والتلميذات معرفة واقع بلادهم والوقوف على المجهودات المبذولة فى كامل البلاد لرفع مستوى الشعب ، والانجـازات الكبيرة التى غيرت وجه تونس وجلبت لها ولرجالها تقدير العالم أجمع ٠

والجامعة القومية للطلبة الدستوريين تهدف أولا الى تركيز الايمان الوطنى والروح الحزبية عند كافة الطلبة التونسيين سواء فى الجامعة التونسية أو فى مختلف الجامعات فى الشرق والغرب ، وما من كلية أو مدرسة عليا أو معهد مختص فى أى مدينة من مدن العالم يوجد فيها طلبة تونسيون الا وقد تأسست بها شعبة هى مركز اشعاع الحزب وأداة الوصل والحوار بين طلبتنا وحزبنا العتيد وكذلك أداة كفاح ضد أعداء الحزب والوطن وتعـريف بوجـه تـونس الحقيقى ٠ الا أن الجامعة القومية للطلبة الدستوريين لم تقتصر على هذا فحسب بل تجاوزته الى حمل الطلبة على الدراسات المذهبية وتسليط عقولهم على واقع تونس ومشاكلها الاقتصادية والاجتماعية واجراء هذا الجدل الضرورى والمنعش بين الفكر والواقع والذى من دونه تكون القطيعة ويكون الزيف ٠

وان نجاح الشباب الدستورى وخاصة بناة الجمهورية بما تشتمل عليه من شباب ريفى وعمال شبان وموظفين ومعلمين شبان متوقف الى حـد بعيد على مستوى الاطارات المسؤولة على حظوظه لذا تأسست منذ سنة مدرسة لتكوين اطارات الشباب الدستورى ببئر الباى يتكون فيها كل شهر حـوالى أربعين شابا يتحملون مسؤولية الاشراف على خلايا بناة الجمهورية فى مختلف الشعب

(*) يناهز هذا العدد مأتى ألف بالنسبة لسنة 1971 ٠

ومن الجدير بالملاحظة أن برنامج هذه المدرسة يتضمن تكوينا سياسيا وحزبيا عاما مع تلقين المبادى الاساسية الضرورية لتنشيط أفواج الشباب واستعمال الوسائل السمعية البصرية وضروب الترويح وفنون الرياضة مما يتوقف عليه نشاط النوادى اليوم (*) ٠

ورغم ذلك فان الحاجات تفوق هذا المجهود ولا بد من بعث مراكز جهوية أخرى لتكوين اطارات الشباب وتكوين المكونين الذين سيدعون الى العمل فيها ٠

وليست الغاية تكوين الشباب الدستورى فحسب وتكوين المسؤولين عن كل منظمة من بقية منظمات الشباب على حدة بل المصلحة تدعو الى تكوين مشترك ينسجم مع غايات اتحاد الشباب ويتماشى مع الاهداف السامية والمصالح العليا للبلاد من دون ان يتعارض ذلك مع تلقين هذا الصنف من الشباب او غيره بعض الاساليب الخاصة بمنظمته باعتبارها مجرد وسائل عمل ٠

وتدعيما لما سبق ذكره فى تنظيم الشباب الدستورى فانه يقترح ادخال تحوير فى طريقة تعيين عميد الشبيبة ليكون منتخبا من طرف الشبان الدستوريين العاملين بصفة قارة داخل الخلايا التابعة للشعبة وينضم الى هيئة الشعبة حينما يتم تجديدها ٠ ومن الملاحظ ان هذه الطريقة فى اختيار عميد الشبيبة تمكن من تلافى الحالات التى توجد ببعض الشعب حيث يكون عميد الشبيبة المنتخب ضمن كافة أفراد هيئة الشعبة أبعد الناس أحيانا عناية بمشاكل الشباب وأقلهم قدرة على معالجتها وتنشيط الشبان وجلبهم الى الحضيرة الحزبية فيحدث ما يحدث من نفور بين الشبان وهيئة الشعبة لا لشىء سوى ان العميد لا يستطيع التجاوب مع نفوس الاجيال الصاعدة ٠ ولضمان النجاعة والاحتياط من سوء الاختيار يجدر انتخاب عميد الشبيبة من طرف الخلايا من بين قائمة من المترشحين أحرزوا على تزكية هيئة الشعبة ونشطوا فى الخلايا مدة معينة وشاركوا فى تربصات سابقة بمراكز تكوين اطارات الشباب وبذلك يمكن توفير المستوى اللائق للاطار المشرف على حظوظ الشباب الدستورى وضمان الانسجام مع الهياكل الحزبية العامة ٠

(*) تطورت هذه المدرسة فأصبحت حكومية وتغيرت برامجها ومناهجها الى حد أن التعليم أصبح فيها بالفرنسية وهو أمر ما كان يخطر على بال أحد منذ ست سنوات !!٠٠٠٠

بمثل هذه الطريقة يتوفر شرطان أساسيان لانجاز برامج النشاط الحزبي الرامية الى تربية الاجيال الصاعدة :

أ) تدعيم التشكيلات الحزبية الخاصة بتنظيم الشباب وابراز شخصيتها الشيء الذي يدفع الاطارات المسيرة لها الى مزيد من الشعور بالمسؤولية والحماس في العمل ٠

ب) ضمان المستوى الضروري للاطارات المشرفة على الشباب الدستوري حتى تكون متجاوبة مع مقتضيات تربية الاجيال الصاعدة ومتفاعلة مع رسالة الحزب المتجددة ٠

وهل من الضروري أن نؤكد بعد كل ما سبق أن هذا التنظيم الجديد للشباب الدستوري انما الغاية منه تكييف نشاط كل صنف من أصناف فتيان الحزب ومراعاة المستوى والاختصاص وان وحدة شبابنا الدستوري باقية راسخة متينة حول أهداف الحزب ومن أجل تحقيق الاشتراكية والازدهار لحمتها الكفاح المشترك والامال الواحدة في الحياة الحرة الكريمة ، فالتصنيف اذن ليس تقسيما في الصفوف ولا تشتيتا للقوى وانما هو طريقة عمل وحرص على الفاعلية وترسيخ ـ بالتتابع ـ للوحدة والانسجام بين مختلف عناصر الشباب الدستوري من جهة وبين الشباب المنضوي تحت لواء المنظمات الاخرى في إطار اتحاد الشباب من جهة أخرى ، على أساس الاتصال العضوي المتين بالحزب ٠

• في سبيل شباب متطور ملتزم :

إذا كان الشباب في هذا العصر هو عماد الامم ومجدد القيم وحامي حمى الاوطان فانه يمثل في تونس الطاقة اللامتناهية التي يعتمدها الشعب في ثورته الاشتراكية كما اعتمدها في تمرده على الطغيان وفوزه بالاستقلال ٠

ويجب أن نقولهابكل فخر واعتزاز : قليلة هي الشعوب التي خصت شبابها بالعناية وأمدته بالامكانيات وقدمت له من التضحيات مثلما خص الشعب التونسي شباب البلاد وأمده وضحى في سبيله ٠ وقليلة هي الاحزاب الجماهيرية التي نزلت الشباب المنزلة المرموقة التي نزل بها حزبنا العتيد الشباب التونسي بل وقليلة هي الدول التي يوجد فيها هذا الحوار الصريح المخلص الايجابي المبني على الثقة والمحبة الموجود اليوم بين شباب تونس سواء في المدارس والجامعات أم في الحقول والمصانع وبين الكهول والمسؤولين بصفة عامة ٠

واستبقاء لهذا الرصيد الادبي الذي لا يقدر وحتى يكون شبابنا كما كان ولا يزال عند حسن الظن فينهض بالمسؤولية التاريخية الموكولة بهمته وعزيمته ويقهر المحال ويأتي بالمعجزات لا بد من مواصلة بل من مضاعفة المجهود الجبار الذي يقوم به الحزب والحكومة من اجل تكوين هذا الشباب تكوينا جسميا وعقليا واخلاقيا ، لا على اساس ان في ذلك قياما بالواجب فحسب بل باعتباره كذلك شرطا ضروريا للنجاح في معركة الحياة واقرار الاشتراكية السليمة كنظام اجتماعي واقتصادي وثقافي كفيل بتحقيق الازدهار الشامل والكرامة الكاملة ٠

ولا بد كذلك من مزيد العناية بالتكوين السياسي والاخلاقي والروحي حتى ترسخ اقدام هذا الشباب في الارض الطيبة التي فيها ولد وعلى أديمها ومن خيراتها يعيش ، وحتى يتغذى من أسمى قيم الحضارة العربية الاسلامية ويعتز بكفاح وطنه وصموده أمام الغازين على مر القرون وتوقه المتواصل الى الحرية والعدالة وتقرير المصير ، وان يتحمس بالخصوص الى كفاح بلاده من اجل الاستقلال ثم أن ينشأ على المبادىء الاشتراكية والايمان بالالتزام ويتخلق بالاخلاق الحميدة ٠

بذلك كله نهتدي الى خلق الجيل المثالي المستقيم بدنا وعقلا وخلقا المعتز بوطنه وبنفسه المؤثر للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، الصادق في القول النزيه في العمل ، المستعد دائما للتضحية من أجل الوطن وعزته كما يهدف إليه الميثاق الذي صادقت عليه منظمات الشباب بالاجماع في جويلية 1963 ٠

هذه الاغراض السامية من الضروري تصميم الوسائل الكفيلة بتحقيقها ودفع الثمن اللازم لبلوغها ومن ذلك :

1) التعليم والتثقيف اذ يحسن - الى جانب نشر نور العلم ونعمة الثقافة من حيث هما - **النظر في البرامج والكتب والنصوص والقصص والروايات المسرحية والافلام والاشعار لتبين مدى مساهمتها في غرس هاته المعاني التي أومأنا اليها وبالخصوص لمعرفة ما اذا كانت تغذي نفوس شبابنا الغضة بالوطنية الصحيحة والاخلاق الاشتراكية والأصالة الحضارية ٠**

2) القيام بدراسة موضوعية وشاملة لواقع التلامذة المرسومين في التعليم الابتدائي والذين لم يتمكنوا من النجاح في مناظرة الدخول الى التعليم الثانوي

أو الاعدادى ولنظر فى مصيرهم وما عسى ان تقوم به الدولة والحزب لانتشالهم من البطالة والفساد اللذين ينتظرانهم وجعلهم قادرين على الافادة والانتاج ٠

ويحسن كذلك القيام بنفس الاجراءات بالنسبة للتلامذة الذين أطردوا لسبب أو لآخر من التعليم الثانوى أو الاعدادى ٠

3) المزيد من اليقظة والاهتمام حتى نحمي أولادنا وبناتنا مما يهددهم بسبب الافلام التجارية الرخيصة والمجلات العابثة ووسائل الاشهار الاستغلالية وانتشار الخمور والميسر والقيام بحملة عامة شاملة من أجل التوعية وارهاف الضمير الاخلاقى والمهنى وتذكير الاباء والأمهات بحق ابنائهم عليهم فى العناية والتربية والسهر على سلامة أجسامهم وأرواحهم ٠

4) الحرص الذى يتعين أن يتصف بـه كـل المتحـزبين الاصيلين وكـل المسؤولين فى المنظمات ، وفى شتى دواليب الادارة بحيث يقرنون بين العلم والعمل ويكونون فى سلوكهم وأقوالهم خير مثال للشبـاب ونعـم المـرشد ، **وبذلك لا يتذبذب الجيل الصاعد ولا تزول ثقته فى القيم بزوال ثقته فى الاشخاص الذين تتمثل فيهم هذه القيم ٠**

5) اقرار الخدمة المدنية لا على اساس الجدوى الاقتصادية فحسب بل بالنظر الى كونها مدرسة يتلقـن فيهـا الشبـاب على مختلـف مستويـاته الثقـافية والاقتصادية التكوين الاخلاقى والمدنى والاشتراكى الذى من دونه يبقى سلبيا أو عاجـزاعن احتلال الصفوف الامـامية فى الثـورة العـارمة الـرصينة التى يخوضها الشعب التونسى من اجل خلق المجتمع الاشتراكى الفاضل الجديد ٠

6) الاقتناع الاكمل بأن النهضة بالشباب لا تكون كاملة وسريعة الا اذا اعتمدت التربية المتواصلة الشاملة وهذا لا يتيسر الا بالاعتنـاء بمـا يسمى البيئة الثالثة ٠

وليس فى الاعتناء بالبيئة الثالثة تناقض مع المجهود الواجب بذله فى ميدان التصنيع أو مع الاولوية الواجب اعطاؤها للميدان الزراعى ولا يوجد بالخصوص تضارب مع تأكد نشر التعليم وتكوين الاطارات ٠

فالفتى أو الفتاة سواء كان عاملا بالمصنع أو فلاحا فى ضيعة أو طالبا بالجامعة أو موظفا بالادارة محتاج دائما فى تكوينه العام وتوازنه الـذاتى واستقـامة جسمه وخلقه وسلامة ذوقه ووطنية مشاعره وفى قدرته على الانتـاج أيضا ،

محتاج الى ملء أوقات فراغه بما يصومه مما يهدده ويشتت قواه ويعبث بطاقاته ، ومحتاج أولا وبالذات الى توجيه مدني وحزبي وأخلاقي يكون أيسر عليه وأنفذ اليه بواسطة ضروب من الترفيه الايجابي في جو من المرح والهواء الطلق والتلقائية والاخوة الصافية الصادقة .

فليست المسألة حينئذ هي في أن تعرف هل يمكن أم لا بناء دور الشباب والمسابح والملاعب في نفس الوقت الذي نشيد فيه المصانع ونؤسس وحدات الانتاج ونفتح المدارس والجامعات ، بل هي أن تؤمن بأن المجهودين هما في الحقيقة مجهود واحد متكامل وأنه اذا أسسنا مصنعا وأرحنا ضميرنا بتشغيل بعض الشبان من دون اعتبار للكيف ومن دون حرص على تكوين انساني شامل لهؤلاء الذين تركوا البطالة والتحقوا بصف المنتجين نكون قصرنا في القيام بالواجب وعالجنا جانبا واحدا من القضية ويكون الحل منقوصا ويكفي أن ننظر في حالة وسيرة ومعاملات بعض هؤلاء الذين أمكن تشغيلهم لندرك أنهم ما زالوا على الاقل في حاجة الى مزيد من العناية والتكوين .

واذن فيجب أن نغير نظرتنا التقليدية ونكون في مستوى مقتضيات الحياة العصرية في النصف الثاني من القرن العشرين ، ونعتبر التداخل في البيئة الثالثة في درجة الضروريات لا الكماليات فكلما أسسنا مصنعا وجب تأسيس وحدة (اجتماعية ثقافية) الى جانب المطعم والمستوصف ، فيها يجتمع العملة وبين ارجائها يمرحون ويروضون النفس والجسم ويجددون الطاقة فيتحقق التصنيع بأيسر السبل ويتوفر الانتاج بتصنيع الرجال كما يتعين تكوين بعض المنشطين الذين يمكن اختيارهم من بين عناصر الشباب المتحمس لينظموا هذا النشاط المنعش حول المعمل فنضمن بالتابع الانتاجية القصوى والانسجام التام مع مقتضيات النفس وأهداف المجتمع في آن واحد .

وكذلك الامر بالنسبة لوحدات الانتاج والمدارس والادارات اذ كل مسؤول عن قطاع من هذه القطاعات مطالب بأن يتساءل ما عسى أن يفعل الشباب بعد عناء الزراعة أو الدرس أو العمل الاداري وكيف يقضي أوقات فراغه .

وفي هذا الصدد لا بد من اعطاء التربية البدنية والرياضية حقها والمقام الاول من مشاغلنا لما أصبح لها من نفوذ على الشباب وقدرة على تكييفهم بما يفيد اذا ما مسكنا زمامها بأيدينا ولم نتركها وشأنها على أساس أنها نشاط هامشي .

فعلى الاطارات الحزبية والحكومية أن تواصل حملة التوعية حتى لا تبقى بلدية واحدة ولا مدرسة واحدة ولا مصنع واحد ولا ضيعة كبيرة واحدة محرومة من الملاعب والمسابح وقاعات الرياضة والنوادى وحتى يشعر كل تونسى بالغبن اذا ما حرمت قريته من التجهيز الرياضى كما يشعر به عندما تحرم قريته من المدرسة أو من النور أو من الماء ٠

كذلك يجب مواصلة المجهود الكبير المبذول حاليا لتكوين الاطارات الرياضية ولا بأس من تفريغ المسؤولين الاكفاء لينهضوا بمهمة التنظيم والتنسيق ويستحسن الزام المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية بأن تمنح عطلا للعملة والموظفين كي يتمموا تكوينهم بواسطة التربصات ويقدروا على القيام بواجبهم على أحسن وجه فى منظمات الشباب والجمعيات الرياضية وهذا ما قررته بعض البلدان فى العالم الاشتراكى وحتى الرأس مالى ٠

وتمويل هذا التجهيز الاجتماعى والرياضى يمكن اعتباره جزءا لا يتجزأ من تكاليف المؤسسة نفسها وداخلا فى مقدرات بناء المعمل أو المدرسة أو تنظيم الوحدة الانتاجية وتسييرها ٠

ولعله من المستحسن التفكير فى سن القوانين ووضع الترتيبات التى تجعل من هذه التوصيات واقعا ملموسا ٠ فكما لا يمكن بناء معمل أو مدرسة من دون مستوصف أو قاعة اجتماع للهيئة المسيرة أو مطعم فكذلك يجب رفض كل مثال هندسى لمجموعة صناعية أو مدرسية أو فلاحية لا تحتوى على ناد وملاعب ومسبح وقاعات ترويض ٠

هذا ما فهمته الدول المتقدمة فى الشرق والغرب وهذا ما يلاحظه كل من يتجول فى تلك البلدان وخاصة منها تلك التى تدعى القيام بثورة اشتراكية وصنع انسان جديد ٠ وليس ذلك على همتنا بمستحيل اذا عرفنا كيف نغير العقليات ونقنع الذين شبوا على نمط من العيش جعلهم يميلون بطبعهم الى الشيب عليه وذلك بوجوب تغيير ما فى النفس والتلاؤم مع مقتضيات العصر ٠

بذلك نحقق النهضة الصناعية والفلاحية والثقافية لاننا نكون قد أحكمنا تكوين العنصر البشرى وهذبناه ومكناه من التمتع بكل ملكاته الجسدية والشعورية والعقلية وغرسنا فيه الاخلاق الفاضلة ٠

وبذلك ــ أيضا وبالخصوص ــ نكون قد نهضنا بالانسان ، اذ التصنيع والتخطيط والاشتراكية ٠٠٠٠ انما هى فى آخر الامر وسائل للنهوض بالانسان ورفع مستواه الحضارى ٠

محمد مزالي

خبر كان

شعر : أحمد القديدي

آبَــاؤُنَــا كَــانُوا مُــزَارِعـيـنْ
في مـواسِـمِ الخِصْبِ وفي مـواسِـمِ الجدْبِ
وكـانـوا مـؤمنينَ صـادِقِـيـنْ
مِنْ طَرَفِ اللســانِ ومِنْ طرفِ القَلْبِ
وكـانـوا يعـودُونَ مُحَمَّلِينْ
بِـالخُبْزِ والتُفَـاحِ والحُبِّ
وكـانوا رغْمَ قَحطِ الارْضِ لا يُهَــاجِرونْ
ولا يضربونَ في طُرقَــاتِ العَــالَمِ الرّحْبِ
وكُنَّــا أطْفَــالا فقـراءَ ولاعبيـنْ
نَحْلُـم بـالمَجْـدِ لهـذا الشَّعْـبِ .

١٠ ق٠
جانفى ٩١٧١

حول معاني المقومات والشخصية والامة

بقلم : البشير بن سلامة

فـي المقـومـات الثقـافيـة

عندما يتجه البحث الى استكنـاه مقومـات الشخصية التونسية تعترضنا صعوبة لا مناص من تخطيها وتذليلها وهو شرح معنى المقومات وان كان يظهر لاول وهلة واضحا لا يحتـاج الى بيـان • فعبـارة مقومـات تعنى مـا تقـوم وتنبنى عليه الشخصية التونسية من أسس وهياكل • ولكنهـا تقتضى منـا التدقيق فى حدودها ونوعها • فهل سنقتصر على المقومات الجغرافية فقط أو التاريخية أو النفسانية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو غيرها مما ترتكز عليه حياتنا بصفة عامة فى مختلف الأزمان ومتعدد جهات أرضنا الطيبـة • وهذا يدعونا الى أن نختار فترة معينة وجهة مخصوصة لنسلط عليهمـا أضواء من عين واحدة من عيون المعرفة • وهذا هو فى الواقع العمل العلمى البحث الذى يعتمد الدراسات المفردة التى يقوم بها عشرات الباحثين ثم يقع التأليف بين القاسم المشترك من خصائصها • عند ذلك يمكن أن نقرر أن هذا المقوم أو ذاك هو الدائم القار المتكرر على مر الدهور بالنسبة لشعبنا وأمتنا • وبما أن هذه الدراسات لم تستوف جميع فترات تاريخنا ولم تستوعب بالبحث كافة جهات أرضنا فانه من المتحتم أن نتجه الى الافتراض بصـورة مبـدئية وأن نقـول بوجود مقومات قارة ثابتة لهذه الأمة ونقصر نظرنا فى نوع واحد من المقومات يتحكم بصورة أو بأخرى فى غيره من المقومات أو هو يكون نتيجة وحوصلة المقومات الاخرى •

لقد استقر رأى علماء الاجتمـاع على أن : « **أفراد المجتمع مجبرون – رغم الفوارق الموجودة فى السلوك الناتج عن الفوارق المتأتية عن مختلف الادوار التى يقومون بها – على أن يساهموا فى مجموعة ضخمة من النماذج الثقـافية وأن يقبلوا سلما من القيم المشتركة • وان تواتر هذه النواة الثقافية هو الذى يتيح لأفراد المجتمع امتلاك نوع مشترك من الفهم ويتيح للمجتمع البقاء رغم تجدد عناصره المطرد** (١) » •

(١) R. Linton, Le fondement Culturel de la personnalité – ص 54 •

كما أنه من المفروغ منه انه : « لا يمكن لمجتمع ما أن يدوم ردحا من الزمن ولا أن تسير أحواله بصورة مرضية لحظة واحـدة اذا لم يتوفـر فى الثقـافة المربوطة به بعض الشروط : إذ عليها أن تملك تقنيات قادرة على تلقين نسق قيمها لأفرادها الجدد وأن تهيئهم لأخذ مناصب معينة فى صلب هذا الهيكل • كما أن عليها أن تحمل تقنيات قادرة على مكافأة كل سلوك يرضاه المجتمـع وإحباط كل سلوك لا يستسيغه ، ثم من الواجب ان تكون نمـاذج السلوك منسجمة الواحدة مع الاخرى حتى لا يحدث التضارب وتنشأ القطيعة وحتى يقع منع كل ما من شأنه أن يفسد هذا الأنموذج ذاك السلوك • وهكذا فان كل المجتمعات اتخذت لنفسها ثقافات خضعت لهذه الشروط وهذا لا يشك فى أمره رغم أننا لا نملك الى اليوم سر تكون هذه الظاهرة (2) » •

وهذا دليل على أنه مهما كانت وجهة نظر الباحث ومهما كان اتجاهه فانه لن يستقيم له البحث اذا هو لم يقرأ حسابا للظاهرة الثقافية ، بل إنه يمكن أن نمضى الى ابعد من هذا وان نعتبر الظاهرة الثقافية هى المتحكمة فى بقاء المجتمعات إذ لا يمكن لمجتمع ما ان يكتب له البقاء أو على الأقل الازدهار اذا هو قصر نظرته فى الحياة على الناحية الاقتصادية أو غيرها مجردة عن اختيار نوعى لفلسفة أو مذهب معين • فالاقتصاد مثلا مهما تحكم فى ضمـان رزق أفراد المجتمع لا بد أن يوجد لنفسه توازنا ما وهذا التوازن لا يتأتى إلا عن طريق معايير ثقافية وجملة من القيم بدونها لا يستقيم أمر •

وهذا يجرنا الى الاقرار بأن الاقتصار على المقومـات الثقـافية للشخصيـة التونسية يمكن أن يكون انطلاقا لموضوعنا على أنه ليس من المستبعد أن نحتاج فى تحليلنا الى عناصر جغرافية وتاريخية واجتماعية وغيرها •

وفى انتظار ذلك ننتقل الى العنصر الثانى من موضوعنا وهو عبارة شخصية والشخصية التونسية بالذات •

بيـن العقليـــة والشخصيـــة

فنحن اذا قلنا الشخصية التونسية فاننا نعنى ضمنيا إنتسابنـا الى أمـة تسمى الأمة التونسية • وكما أن الفروق بين العقلية فقط والشخصية معروفة

(2) R. Linton, Le fondement Culturel de la personnalité ـ ص 27 •

لدى العارفين بعلم النفس فان الفروق بين مفهوم الشعب ومفهوم الأمة متداولة أيضا ٠

ولكن رغم ذلك فانه ليس أعقد من هذه المفاهيم التي اختلف فيها العلماء وراح كل واحد منهم يعتمد في سن تحديداته على تجارب خاصة٠على أنه يحسن بل يجدر أن نختار من بينها ما يلائم بحثنا إذ ليس همنا هو التعريف بالنظريات فقط بل غايتنا القصوى هي خدمة فكرة معينة ٠ ولهذا فاني أعتبر مفهوم العقلية يتماشى مع مفهوم الشعب ومفهوم الشخص فقط بالنسبة للفرد فاذا هو سما وأصبح يمتاز عن غيره في المجتمع بخصال تجعله نسيج وحده أمكن إطلاق عبارة شخصية عليه وليس في هذا معنى العين من الأعيان بل أقصر تعبيري على التحديد النفساني إذ كم من عين من الأعيان معروف بماله أوجاهه أو سلطته ولا يملك شيئا من الشخصية وكم مغمور فقير ولكنه يتمتع بشخصية فريدة ٠ كذلك فانه يمكن أن نقصر كلمة عقلية على الشعب أو المجتمع فاذا هو سما وارتقى الى درجة أمة جاز لنا ان نطلق عليه عبارة شخصية ٠

« فالعقلية » ، اذن ، هي نوع من التأليف الديناميكي الحي لكل مجتمع ٠ فهو ديناميكي الى أقصى درجة لأنه متأصل في كل فرد من أفراده ويكون الدافع لسلوكهم وتفكيرهم ، وكذلك فهو يتحكم فيما يخلقونه إذ بحسبه توضع مشاكلهم ومشاغلهم (3) » ٠

« ذلك أنه من الملاحظ أن وراء كل الفوارق الموجودة بين الأفراد تكمن نوع من الثمالة النفسانية قارة مكونة من الاحكام والمفاهيم والمعتقدات التي يتبناها كل أفراد المجتمع الواحد ٠ وهذه المجموعة هي التي تكون الهيكل العقلي النوعي لكل حضارة » (4) ٠

فالعقلية اذن بالنسبة لشعب من الشعوب أو لمجتمع من المجتمعات هي القارة الباقية على مر الدهر لا تتغير في جوهرها بل تتحول وتتشكل بصور عديدة ولكن تبقى هي المسيرة المتحكمة ، وقد تتفاقم أو تتضاءل حسب الظروف والملابسات زمن الحرب أو السلم وهي الكامنة فيها العيوب والمحاسن وإن كانت هذه الخصال تنقلب من الحسن الى القبح حسب التغيرات والمؤثرات التي تنشأ

(3) G. Bouthoul, Les mentalités ـ ص II ٠

(4) G. Bouthoul, Les mentalités ـ ص 30 ٠

عن تأثير بطل من الأبطال ٠ وهكذا فان العقلية هى التى تكون بمثابة طابع المجتمع المميز له ٠

غير أنه يمكن أن يلاحظ المتتبع لهذه المظاهر أن المجتمع أو الشعب عندما يمر بفترة تخلص كثيرا ما تتلون عقليته وتتشكل فى أشكال عديدة تجاه ميادين الحياة المختلفة ٠ فنجد مثلا أن عقليته تتكيف بصورة خاصة عند ممارسة المسائل الدينية وتبرز فى ثوب آخر عند تصديه للقضايا السياسية كما أنه تدفعه طبقة أخرى من عقليته الى النظر فى مشاكله العلميـة والمهنيـة نظـرة مختلفة بحيث أننا نجد هذا المجتمع أو هذا الشعب يخضـع فى الظاهر الى عقليات متنوعة وإنما هى فى الواقع عند إنعام النظر ملامح لشخصية واحدة ٠

ذلك أن « الشخصية بالنسبة لمجتمع متكامل منصهر فى أمة ما هو مجموع العناصر النفسانية التى يشترك فيها كل أفراد ذلك المجتمـع والتى تظهـر فى مظهر أسلوب معين من الحياة متشابه أصلى على مقتضاه ينسج كل فرد نمط حيـاته » (5) ٠

وإذا أردنا أن ننظر الى هذه العناصر النفسانية من الناحية العمليـة ومن ناحية بروزها فى سلوك الفرد نقول : « إن القيم السلوكية فى متنوع أنساقها والتى يشترك فيها جميع أفراد المجتمع تظهر فى أشكال مختلفة من السلوك يربط بينها نظام قار ٠ فهذه العناصر هى عناصر الشخصية وهى التى تكون نوعا متكاملا لتشكل المجتمع ٠ وان هذا التشكل هو الذى يضفى على المجتمع أنماطا من الفهم وضروبا من القيم المشتركة ويجعله يقف من الناحية العاطفية مواقف موحدة تجاه ظروف تمس بالقيم المشتركة » ٠

وإنه لمن العسير جدا أن ينفذ الباحث الى كيفية تطور الشخصية ونموهـا وتغيرها لأن ذلك يقتضى أن يظفر بسنة واحدة يطبقها على مختلف المجتمعات وهو أمر لا يمكن أن يكون إلا على حساب نوعية هذه المجتمعات ٠ ذلك أنه ليس من غرضنا أن نبحث عما يوحد بين جميع المجتمعات الانسانية وهو مطلب قد بدأه ابن خلدون ومضى فى تقصيه علماء الاجتماع بل غرضنا هو أن نضبط ما يميز مجتمعا عن آخر وأمة عن أخرى وهو صلب موضوع الشخصيـة فى دوامها وحركيتها ٠ على أنه وان عسر تقصى كيفية سيـر هـذه المجتمعـات فى مظهرها الدائم المتميز أى فى شخصيتها فانه يمكن أن نستشف محتواها

(5) Vocabulaire pratique — ص 82 ٠

ونظامها ومنجزاتها في أوقات معينة لنتبين الأمور القارة التي تربط بين هذا كله ٠

وان امر الشخصية محير بالنسبة لكثير من الناس وخاصة الأذكياء منهم والنخبة المطلعة المثقفة ٠ ذلك أن كل متعلقات الشخصية تجدها مبثوثة مسلما بها عند عامة الشعب لأنه يحبها ويشعر بها ويتجاوب معها في نفسه ودخيلته ولا يتنحى عنها ويقاوم من أجلها وتجدها أيضا ممعقلة عند الذين اكتملت ثقافتهم ووجدوا توازنهم الذاتي وتجاوبوا مع الحياة حياتهم وحياة أمتهم بعقولهم وقلوبهم ٠ وان في حديث الشخصية مع العقل والذكاء لبابا ينبه المثقفين والنخبة الذين آلوا على البابهم لانفوسهم أن يحيوا فقط بعقولهم وان يمارسوا شؤون حياتهم وحياة أمتهم بذكائهم وعلمهم المقطوع عن أصله المنبت كما يحلو لبعضهم أن يقول ٠ واني لهذا الباب لوالج تذكيرا وتنبيها واشفاقا ولقد قال أحد العلماء عن الذكاء هذه الملكة التي تخول للانسان الفهم وتجعله قادرا على إدراك الروابط الفكرية وهي سليلة ملكة أخرى هي أيضا تتيح للانسان الفهم وإدراك الروابط الفكرية ألا وهي العقل قال أحد العلماء عن الذكاء والشخصية :

« غريب أمر هذين الزوجين : أحدهما قلب برجلين وهو الشخصية ٠ والقلب له ما يكره وما يحب وله شهواته ومخاوفه وسرعان ما تحمله رجلاه الى الامام أو الى الوراء ٠ الشخصية تحس ولكنها لا تعرف ولا ترى : ولهذا فواجب عليها أن تلجأ الى الذكاء ٠ إذ هو الذي ينير الطريق ويبصر عندما تختلط السبل ٠ فهو أي الذكاء يهدي الى الطريق ولكنه لا يقرر الاتجاه ذلك أن الشخصية هي التي تحول الاتجاه الى وجهة أو أخرى ، تحوله نحو المستقبل أو الماضي ، نحو الواقع أو الخيال ٠ كما أن الشخصية هي التي تقرر الحاجة الى المجهود والاستمرار فيه ٠ بينما الذكاء في صحوه عاجز إذ هو يمتطي الشخصية كالمقعد على ظهر ضرير ٠

ولا شك أنهما وليدا الطبيعة والضرورة ٠ فنحن نجدهما منذ نشأة الحياة متأصلين فيها منغلقين في خلية واحدة ومن الصعب التفريق بين الواحد والآخر ٠ ثم انفصلا بعد ذلك ليقوم كل واحد منهما بوظيفته وارتقى أحدهما وهو الذكاء الى القمة ٠

« وان في هذه التفرقة بين الوظائف لعين التقدم ٠ حتى أنه إن عن لاحداها أن تقوم مقام الاخرى كان التأخر ٠ فاذا لم ترض الشخصية بأن ترغب فقط

وأخذت رغباتها مأخذ الاحكام وقع الذكاء فى الاسر وتعذر عليه أن يرى الواقع كما هو ولم يسمح له الا بأن يجعل موهبته الجدلية فى خدمة قرارات اتخذت بصرف النظر عنه • عند ذلك تنغلق الشخصية ، عن اختيار ، فى ذاتية تكون جميع الاخطاء والمبالغات ممكنة ضمنها •

ويمكن أن يقع العكس ويكون الذكاء هو الطاغى • فيحجر عند ذلك على الشخصية أن تصدع بحاجاتها وتضطر الى اخفائها • وتنقلب المدوالات التى تفرضها الحياة الى مكافحة للأفكار ليس للمداولات فيها حظ العثور على حل • وتحل التمارين الفكرية محل التعبير عن الاحساس • ويفقد الذكاء وجهته وقد حرم من الاتجاه الذى تسطره الشخصية • ويظل بدون جدوى يبحث خارجيا عن مبررات للاختيار والعمل والحال أنهما كانا من الواجب أن ينبعا من الباطن • ويأتى يوم تتحكم الشخصية فى الذكاء وهو فى غفلة • وذلك من فرط ما أحكمت الشخصية التقية • وسبب ذلك هو أنه كلما وقعت أزمة بين الذكاء والشخصية أوجدت قطيعة بينهما أو حل الواحد محل الآخر كان الخسران للذكاء • إذ أن الشخصية الملتهمة فى أصلها ، والمزعزعة لمراقبة الذكاء هى طاغية من الطغاة وكذلك الذكاء المعن فى الافكار الموغل فيها المنكر لضروب العاطفة والحاجة البدائية ينتهى أمره الى أن يصبح شبه ملك ولا ملك • وفائدة الذكاء تكمن فى ان يقبل ويفهم ويتعاون » (6) •

كل هذا للدلالة على أنه لا يمكن للفرد ان يسيطر عليه ذكاؤه دون شخصيته من دون أن يختل توازنه وأن تبطل فاعليته وكذلك لا يمكن أن يسيطر على أمة تصريف أمورها بذكاء وعقل مع هضم مقومات شخصيتها من دون ان تفقد فاعليتها وتصبح أعمالها عقيمة وتتحول أحوالها الى اضطراب • ولنا فى تاريخنا الحديث أكبر دليل على ذلك • إذ الحركة الوطنية فى أولها عند الاحتلال وبعده بقليل ارتكزت على ما فى الأمة من مقومات شخصيتها ولكن ذلك لم ينفعها ثم لما تخرجت نخبة أدركت نعمة العقل والذكاء وتدرعت بما فى أصالتها من مستحكم الشخصية فكانت حركة الشباب التونسى ومقارعتها الاستعمار وانتصاراتها التى كان مآلها غضب المستعمر وعسفه • ثم بعد الحرب العالمية الاولى برز الحزب الحر الدستورى الذى سمى فيما بعد القديم وحافظ على شخصية الأمة ولكنه لم يستعمل العقل والذكاء فى مكافحة المستعمر حتى برز

---

(6) لقد عثرت على هذه التحديدات فى تقييدات لى وللأسف لا أذكر صاحبها من علماء النفس •

الحزب الجديد بقيادته الحكيمة التى قرنت العقل والذكاء والاستجابة الى دفائن الشخصية التونسية فكان التوازن والانتصار على المستعمر ٠

ونحن فى كفاحنا من أجل التقدم يجب أن لا يغيب عنا هذا الدرس الناجح القريب منا ويجب أن نعمل بذكائنا وعلمنا وعقلنا فى نطاق شخصيتنا بمقوماتها المتنوعة من دين ولغة وحضارة وكل ما يميز الأمة التونسية عن غيرها من الامم ٠ عند ذلك يكون خلاصنا من الجهل والفقر والانحلال ونكون قد نمينا أعز ما نملكه فينا ٠ أما اذا نحن تنكرنا ، بداعى المصلحة والعقل والعلم فقط لمقوماتنا من دين ولغة وحضارة فان علمنا وعقلنا وذكاءنا لا ينفعنا فتيلا وتذهب ريحنا فى الاندماج و « التفتح » الكاذب والانحلال كشأن بعض الأمم التى تجتاز الآن أزمة من أفظع الأزمات ٠

فـى معنـى الأمـة التـونسيـة

وحقيق بنا بعد هذا أن ننظر فى الأمة التونسية ٠ هل هى بحق أمة ؟ أم هى كما يقول البعض شعب فقط لم يرتق الى درجة الأمة وهو فرع من أمة أشمل وأكبر وهى الأصل سواء كانت الأمة العربية أو الأمة الاسلامية أو الأمة العربية الاسلامية ، أو الأمة المغربية ٠ أم هى كما يعن لمن رام الحاق شعبنا وربطه بالعالم الغنى مجرد معبر لحضارات عديدة متفتحة وبالتالى هو خليط لا نوعية له فى الواقع وليس له الا أن ينصهر فى العالم بكل ما يملكه من طاقات على الانسجام فى الغير وتقبل غرائبه وعجائبه ٠

وليس الذى أقوله هو كما يقولون من قبيل فتح الأبواب المفتوحة بل هو الذى تحتم بحثه الأزمات التى تمر بها الطبقة المثقفة التونسية وهو السبب الأصلى فى ترددنا أو عجزنا عن التغلب على الصعوبات الناجمة عن مركبات النقص وعن التفصى من الانكباب على قضايانا الأصلية درسا وتقصيا وعن الهروب من مر النظر الى أنفسنا وجها لوجه ٠

ولهذا قبل أن نفصل القول فى مقومات شخصيتنا يجب أن نبت فى هذه المسألة ونتفق على المفهوم والمدلول اللذين يجب أن نعطيهما لهذه المجموعة من الناس الموجودة على رقعة من الارض تسمى البلاد التونسية أو اذا أردنا قلنا : هل يحق لنا أن نطلق على الشعب التونسى اسم أمة ونسفه فى آن واحد أحلام المتمغربين والمتمشرقين وادعاءاتهم ٠

ونتساءل مع المتسائلين متى يحق لشعب أن يطمح الى تكوين أمة وما هى

شروط ذلك . لقد اتفق الفلاسفة وبالاخص علماء الاجتماع على أنه لا يمكن لشعب أن يصبح أمة الا اذا « أظهر بصفة مستمرة حية ، ارادة جماعية للعيش عيشة مشتركة واذا عرف كيف يكون لنفسه الهياكل اللازمة لوجوده كأمة قائمة الذات وكذلك اذا هو أمكن له ان تكون له نوع من الثقافة ونوع من القدرة على أن يحكم نفسه بنفسه ويدير شؤونه » هذه أهم الشروط المتعارفة التى يجب ان تتوفر فى شعب من الشعوب ليصبح أمة بأتم معنى الكلمة .

واذا كان من البديهى بالنسبة للكثيرين التسليم اليوم بأن هناك أمة تونسية فانه من العسير على الكثيرين أن يسلموا بأن هذه الأمة موجودة منذ القدم وأن هناك مدا متواصلا مسترسلا يعمل فى أناة وبطء وربما فى تعثر أحيانا ليتم فى هذا القرن العشرين على صورة أمة مكتملة .

هو سؤال فى سؤالين اذن أن ننظر فى الشعب التونسى هل توفرت فيه الشروط المذكورة من جهة ومن جهة أخرى أن نبحث عن مراحل توفر هذه الشروط . فلنبدأ بالشرط الاول وهو حرصه حرصا مستمرا حيا فى ارادة جماعية على أن يعيش عيشة مشتركة .

اذا أعوزتنا المصادر الدقيقة التى تدل زمن السلم على توفر هذه الارادة فى الشعب الذى سكن هذه الرقعة من الارض وتسمى بافريقية منذ زمان قبل الاحتلال الرومانى أى فى عهد قرطاج فان هذه الارادة نجدها مبلورة واضحة فى الحروب التى شنها هذا الشعب على الدخيل وهذا لا يحتاج الى الافاضة فيه لأن كتب التاريخ زاخرة به من تكتل افريقية بعاصمتها قرطاج ضد الزحف الرومانى المنظم الى الثورات التى لم تنفك تنخر الامبراطورية الرومانية والمتمثلة فى تكتل الافارقة القاطنين بافريقية الى خروجهم على الفاتحين العرب فى أول الامر وتكوينهم بعد اسلام لدويلات تابعة للامبراطورية الاسلامية ، الى انفصالهم عنها واستقلالهم وتشييدهم لامبراطوريات كادت توحد الأمة الاسلامية آنذاك ، الى اقتصارهم على الاكتفاء بشؤونهم والدفاع عن حوزة وطنهم ، الى وقوفهم فى وجه الاحتلال الفرنسى واقامة دولة مستقلة .

هو مد وجزر ، يبين ويغمض ، يتضح ويلتبس فى هذه الفترات كلها ولكنه فى الواقع ، اذا نحن انعمنا النظر فى تاريخ هذه البلاد ، ماثل صامد وان قلقلته الزعازع وليست هذه الظاهرة خاصة بالبلاد التونسية بل ان جميع الشعوب العربية والاسلامية مرت بهذه المراحل وقد حكمت فيها الرقعة الجغرافية التى عزلت لبطء المواصلات قبائل كاملة وحتمت عليها أن تعيش

معا فانصهر منذ الازال بعضها فى بعض وطبعت بذلك ولم تفـدها المـذاهب والأديان والايديولوجيات لتتجمع مرة واحدة رغم الحضارة الـواحدة · سنـة الكون وسنة الحياة التى لا نجد من قوة عليها الا عندما نسلم بها ونحاول فهمها وتحليلها · انظر بلاد فارس ومصر والعراق والجزيرة العـربية وغيـرها من بلدان الدنيا · فكانه كتب على هذا العالم ان يكون بين جزر ومد ويحتفظ رغم الاختلاط والتمازج والانصهار بكل ما يجعله مجزأ مقسما ليتفاعل وليحيا ·

الارادة الجماعية للعيش بصفة مستمرة حية موجودة على هـذه الـرقعة فى أعنف مظهر وهى لم تفتر فى فترة الا لتشتد فى فتـرة أخرى ولا تضعف فى دولة الا لتقوى عند قيام دولة أخرى ·

لننتقل الى الشرط الثانى وهو : هل ان هذا الشعب عرف كيـف يكـون لنفسه الهياكل اللازمة لوجوده كأمة قائمة الذات أو اذا أردنا هل أمكن له أن يقر عناصر سياسية واقتصادية مستقلة بذاتها كفيلة بتنظيم الحياة ؟ إن ذلك من السهل التدليل به اذ أن التلاحم الذى وجد عند قيام الدول **القوية والتفاف الناس حولهم لدليل** على وجود **هذه القدرة فمادولة** قرطاج البونيقية **ثم الرومانية وما الامارات العربية** التى انتصبت فى بداية الفتح الاسلامى والممالك المنبثقة **من الاهالى المنسجمة** معها بمؤسساتها ونظامها الكامل الا دليـل على أن هـذا **الشعب يعرف** كيف ينظم نفسه ويلتف حول حاكميه فى رعاية هياكل متمدنة ذات فاعلية كما أنه عرف كيف يثور عليها عند اختلال التوازن بينه وبينهـا وعندما تصبح مصلحته ثانوية بالنسبة لحاكميه · ولهذا فانه لو فرضنا أن **هذا الشعب لم يشعر شعورا واعيا عصريا كما نفهمه اليوم بأنه أمـة** بأتـم معنى الكلمة فانه على الاقل ، والاحداث التاريخية موجودة واضحة ، تشير الى ذلك ، كان يحس حاد الاحساس بانتمائه الى مجمـوعة يجب الدفـاع عنهـا **والذود عن حياضها وهذا بين فى صمود هذا الشعب أمام الرومان ثم العـرب** الفاتحين ثم عرب بنى هلال ثم الاسبان ثم الاتراك ثم الفرنسيين وفى كل هذه الفترات فانه لم يذب وأبقى على كيانه رغم تقبله الاسلام والعربية وانصهاره **فى هذه الحضارة العظيمة التى بات لا يعتز بها فقط** بل يثريها ويغذيها برافده الغنى النوعى ·

فقيام الدول المتعاقبة على هذه الارض واستقلالها فى كل مرة ينبئى بان هناك **طاقة فى البلاد قادرة على تكوين الهياكل الاقتصادية والسيـاسية ورعـايتها** ورعاية استقلالها ولو الى مدة محدودة ·

هذان العنصران اذن الارادة على العيش بصفة جماعية والقدرة على ايجاد هياكل لازمة لوجود الشعب كأمة يكونان الدعامة التي تقوم عليها الامم وهي اذا أردنا البذرة التي منها تنمو الشجرة العظيمة التي تظلل وتحمي كل افراد المجموعة • ولكن هذا لا يكفي اذ يقتضي توفر عنصرين آخرين وهما وجود نوع من الثقافة ونوع من القدرة على ان يحكم الشعب نفسه بنفسه ويدير شؤونه •

أما عن نوع الثقافة فان الامر يدعونا الى أن نضع هذا السؤال : هل يصح التسليم بوجود ثقافة تونسية مستقلة عن الثقافات العربية الاخرى لها خصائصها ونوعيتها ؟ وهل يكون هذا إلا ضربا من الخيال أو المغالطة لا يقوم على أي أساس علمي موضوعي ؟ لندقق الامر اذن ولنحاول ضبط انتساب الكيان التونسي الى المجموعة الواسعة وهي المجموعة العربية الاسلامية ولنحدد مكان تونس في هذا العالم • وانه لا يستقيم لنا ذلك الا اذا نظرنا في معنى الحضارة ومفهوم الثقافة وحددنا ما تشمله كل كلمة من هاتين الكلمتين من معطيات •

قال قاستون بوتول العالم الاجتماعي المعروف : « الحضارة هي مجموعة أشمل يمكن أن تحتوي على عدة ثقافات • ذلك ان الحضارة مجموعة عامة تغلب عليها المعارف العلمية والتقنية وأهم المذاهب الفلسفية • اما الثقافات وان هي تفرعت عن الحضارة التي اليها تنتسب فان الفروق بينها تظهر في التقاليد الجمالية والتاريخية والاسطورية ».

لهذا فانه يمكن لأمة ما أن تنتسب الى حضارة بصفة عامة وتكون لها ثقافتها المتميزة فالحضارة الغربية تشمل أمما عديدة وبالتالي ثقافات متنوعة مثل الثقافة الفرنسية والاسبانية والالمانية والايطالية والانقليزية وغيرها • ولكنها فرع من اصل تشترك في جملة من المعارف والتقنيات بها تسيطر على الطبيعة وتنظم حياة اجتماعية معقدة تخضع لمفهوم تقسيم العمل الاجتماعي وبعبارة أوضح فان هذه الامم تشترك في جملة من العناصر الاقتصادية والقضائية والثقافية والاخلاقية والدينية •

هذا بالنسبة للحضارة الغربية والثقافات المتفرعة عنها • فهل تصح هذه القاعدة بالنسبة للحضارة العربية الاسلامية وما ينتسب اليها من أمم وشعوب• ذلك أن الامر بالنسبة لهذه الحضارة أشد تعقيدا•لأن الحضارة العربية الاسلامية طبعت صنفين من الشعوب : صنفا أثرت فيه هذه الحضارة وتمسك بلغته مثل الأمة الفارسية والهندية والباكستانية والاندنوسية وغيرها وصنفا

نهض بهذه الحضارة عن طريق اللغة العربية ٠ فمن السهل عند ذلك أن نقول ان ايران تنتسب الى الحضارة العربية الاسلامية او الاسلامية فقط ولها الى ذلك ثقافتها العريقة فى القدم المتميزة بتقاليد جمالية وتاريخية وأسطورية ولو أن هذه الحضارة الاسلامية لم يبق منها فى الواقع إلا أشلاء من المعارف العلمية والتقنية طغت عليها الحضارة الغربية وصمد فيها عنصر الدين بتغلغله فى النفوس وتمكنه من العقول ٠ وعلى كل فان نظر أهل الحضارة العربية الاسلامية الى الكون يختلف فى جوهره عن نظر أهل الحضارة الغربية ٠ ورغم أن الحضارة العربية الاسلامية انبثقت من عناصر مختلفة عديدة تراكبت على العنصر العربى البحت وفرضت نفسها بحكم تنوع عناصرها على أمم عديدة فان ثقافات هذه الامم كانت من القوة ومن الاستحكام ما جعلها تستقل بسرعة عن مركز الخلافة وتحافظ على لغتها وتقاليدها وتاريخها وتكون جزءا مستقلا عن الثقافات الاخرى قائم الذات وظهر ذلك سياسيا فى انفصال فارس عن الخلافة واستقلال الهند وغيرهما من الامم الاسلامية الاخرى وخاصة الأمة التركية ٠

ولكن الأمر أشد تعقيدا بالنسبة للصنف الثانى وهو الذىحافظ علىالحضارة العربية الاسلامية ولم يفرط فيها وصمد بها فى وجه كل غاصب وتمسك أيضا باللغة العربية ٠ فاذا كان من المفروغ منه انتساب الشعوب العربية الى حضارة واحدة فهل يصح القول بأن كل شعب من هذه الشعوب له ثقافته المتميزة النوعية والحال أن عنصرا آخر يضاف الى ما اتصفت به الامم الاسلامية الاخرى وهو اللغة ٠ فهل اشتراك الشعوب العربية فى لغة واحدة ينتفى معه وجود ثقافات متميزة ؟

عوض أن نبحث فى مميزات كل ثقافة من الثقافات الموجودة فى كل بلد عربى ، وهو مما يبعدنا عن موضوعنا ويقتضى دراسة مستفيضة لكل المظاهر الثقافية الخاصة بالبلدان العربية وضبط الفروق بينها ان كانت فاننى أعكس الامر وأتساءل هل ان التقاليد الجمالية الموجودة فى مصر هى نفسها الموجودة مثلا فى المغرب الاقصى : أى هل أن الفن المعمارى برسومه واتجاهاته وما يرتضيه المغربى فى بيته من ضروب الجمال هو نفسه الذى ينشده المصرى ؟ وهل أن ما طبع به تاريخ المغرب البلاد هو نفسه الذى طبعت به مصر تاريخها وهل الاساطير الموجودة فى المغرب هى نفسها الموجودة فى مصر ٠ ان الناظر من أول وهلة الى الشعب المغربى والشعب المصرى يجد انهما وإن إتحدا فى الحضارة أى فى الدين واللغة فانه لا يمكن له أن لا يلاحظ الفروق بين التقاليد الجمالية والتاريخية والاسطورية الموجودة فى مصر وفى المغرب ٠ وهذا تعبر عنه فى أبسط مظهر العادات واللباس

وخاصة اللغة أو اللهجة إذا أردنا وأعنى اللغة الدارجة في كل القطرين اذ هى التى تأثرت أكثر من غيرها بنوعية الثقافة الموجودة فى كلا البلدين وهى التى تحملت طيلة القرون والقرون الجزر والمد الذى اقتضته شخصية كل من البلدين ٠

وقس على ذلك الفروق بين الجزائر ومصر والشام وتونس ، وإلا كيف يمكن تفسير استقلال كل بلد عن الآخر بقطع النظر عن الظواهر السياسية اذ هى ترتكز فى أغلب الاحيان على عناصر ثقافية بحتة ٠ وثقافة كل شعب هى التى لم تمكن الدين الاسلامى واللغة العربية من أن تجمع هذه الشعوب رغم الظواهر فى أول الامر المنجرة عن قوة الاسلام وجاذبيته وما هو مصدر الخلافات والنزاعات ان لم يكن منشؤها اختلاف الثقافات والا كان من المفروض أن تتحد هذه الشعوب وقد وحدتها دول عظيمة مثل دولة الموحدين فى المغرب العربى الكبير وقبلها الدولة الاموية والدولة العباسية فى المشرق ٠ ولقد انتشر الاسلام كما لم ينتشر قبله دين وتمكنت اللغة العربية فى شعوب لم تعرفها من قبل ومع هذا فان العالم العربى لم يجد وحدته المنشودة لفرط ما تنوعت فى صلبه الثقافات وهى قوته فى الواقع التى غذت حضارة كاملة وجعلت منها الحضارة العربية الاسلامية ٠ ولكن نهر الحضارة العربية الاسلامية الذى حدثنا عنه أحمد أمين الذى تغذى بأنهار الثقافات الاخرى من هندية وفارسية وعربية ويونانية لا يمكن لمائه أن يبقى طاميا ولا يتيسر لمياهه أن تحمل معها الحياة والرخاء الا اذا بقيت الانهار الاخرى تغذيه وتعطيه من نفسها وقد بقيت ٠ وهو السبب فى انها لم تغض ولم يجف مجراها وظلت الى أبد الأبدين تطعم بثقافاتها نهر الحضارة العربية الاسلامية ٠

وبالنسبة لتونس فانه ليس من الصعب أن نبين ما لها من تقاليد جمالية خاصة بها ومن رواسب تاريخية تجرها ومن بقايا أساطير متميزة حملتها عن الشعوب التى نزلت بأرضها ٠ أليس لها نوعيتها فى صلب المغرب العربى المتميز عن المشرق العربى ٠ أليس ما بقى فى ذاكرة أهلها من الاحداث القديمة التى صنعها الرومان والونـدال والخوارج والنرمان والاسبان والاتراك والفرنسيون ما يجعلها تحمل تقاليد تاريخية خاصة ٠ ثم أليس فيما بقى من لباس أهلها وحليهم القديم وفنهم المعمارى وعاداتهم ما يجعل من هذه البلاد تتميز عن غيرها فى تقاليدها الجمالية ٠ ثم أخيرا هلا نجد فى أساطيرها ما يميزها عن أساطير غيرها من البلاد العربية ٠ كل هذا يدل على ان لتونس ثقافة نوعية متميزة ٠ ويحق لنا ان نقول بكل موضوعية : الثقافة التونسية كما نقول الثقافة المصرية والجزائرية والمغربية والعراقية واللبنانية وغيرها ٠

وكما رأيتم فانه لا ضير من أن تتمسك كل أمة من الامم العربية بثقافتها وتنميها بما تحفظه وتحذقه من الثقافات الاخرى لتغذى نهر الحضارة العربية الاسلامية والا كيف يتصور المتصور اليوم ازدهار الحضارة العربية الاسلامية فى خضم الحضارات الموجودة الآن ٠ فالنهضة والتجديد والمعاصرة لا يمكن أن تأتى كلها عن مفهوم خاطئ لما بقى من الحضارة العربية الاسلامية التى انتفى عنها كما قلنا عنصر هام وهو المعارف العلمية والتقنية الخاصة بها وهى لن تزدهر الا اذا نحن هضمنا بحكم الثقافات المتنوعة التى نحملها ، الحضارة الغربية وبقينا نحن ، ولم نذب فى غيرنا ثم زودنا حضارتنا بهذا الزاد ونكون عند ذلك قد جددنا ما يجمع بيننا وجعلناه عنصر حياة لا عنصرا ميتا أو شبه ميت ٠

وهكذا فانه يحق لنا أن نقول بأن الشعب التونسى له نوع من الثقافة خاص به نزيده على العنصرين اللذين مر النظر فيهما ويبقى العنصر الرابع الذى به نقيم الدليل على ان الشعب التونسى يكون أمة بأتم معنى الكلمة وهو قدرته على أن يحكم نفسه بنفسه ويدير شؤونه كما عن لـه ٠ وهذا يقتضى وجـود دولة اولا وسيطرة أهل البلاد على مقاليد الحكم ثانيا ٠

اما وجود دولة منظمة ترتكز على مجموعة من الناس مستقرين فى أرض معينة تخضع الى نظام اجتماعى وسياسى وقضائى جمع بين يدى سلطة لها القـوة القاهرة فهو أمر لا امراء فيه منذ الاحقاب والاحقاب ٠

ذلك انه وان كانت هذه الرقعة من الارض تعد مدنا كبيرة خاضعة الى حكم منظم منذ القديم ، فان وجود قبائل عديدة فى السهول والبسائط تـارة وفى الجبال والمرتفعات تارة أخرى كان باعثا على تقلقل هـذه الـدول وانهيـارها بسرعة ٠ على ان التاريخ احتفظ لنا بنماذج من الحكم المنظم المستقـر يحسن التعرض اليها للتذكير ٠

لقد حفظ لنا التاريخ المؤسسات العمومية التى اقامتها قرطـاج لتسييـر شؤونها وقد أشعت بفضل نظامها المحكم على حـوض البحـر المتوسط وعلى الرقعة التى تحيط بالمدينة وعـرفت كيـف تسيطـر على القبائـل وتخضعهم لمشيئتها بالارهاب تارة وبالتعاون المثمر تارة أخرى ٠ ولقد كان لهذه الدولة شأن عظيم فى أحكام تجارتها وتصريف موارد ثروتها مما جعلهـا تطمـع فى الاستيلاء على غيرها من البلدان ٠ وهذا لا يمكن ان يتأتى لها لو لم يكن لها مع أهل البلاد الذين انصهروا ولا شك ، فى نظامها ، سياسة هى المرونة والحكمة والدهاء وماذا يكون عدد هؤلاء الفينيقيين الذين نزلوا بقرطاج وأسسوها حتى

كان لشأنهم ذلك الشأن لو لم يندمجوا مع العناصر الحية في هذه البلاد ؟ والتاريخ لم يحدثنا عن نزوح أو هجرة تعد بعشرات الآلاف من الفينيقيين ولهذا فانه سرعان ما اصبح لقرطاج مؤسساتها ونظامها الاجتماعي والسياسي واشعاعها الثقافي لتكون الدولة البونيقية (7) المتميزة القوية ·

ثم لما انهارت هذه المحاولة الاولى في تكوين دولة عظيمة منظمة تتجاوب فيها طبقات المجتمع الذي ترتكز عليه ، على الأقل في مجابهتها للعدو ، وضربها الرومان الضربة القاصمة كانت سيطرة الاستعمار الروماني وتنظيمه للبلاد ولكن على حساب الاهالي ثم بعده حكم الوندال ثم البيزنطيين · وكان خلال تلك الفترة الصراع الحاد بين المستعمر وأصيل البلاد وكانت محاولات الصهر التي باءت بالفشل حتى مع من انساقوا الى حضارة الرومان وكتبوا بلغتهم وحذقوا ثقافتهم إذ بقوا متشبثين بلغتهم الأم البربرية البونيقية معتزين بوطنهم ، محافظين على عاداتهم وتقاليدهم وأكثر من ذلك محتفظين كأشد ما يكون الاحتفاظ بحريتهم · ورغم ذلك فان الدولة لم تكن بايديهم بل هي موجودة لتراغبهم وتتسلط عليهم بألوان من العسف والظلم ومختلف انماط الاهانة والذل ·

ولم يلبث بعد هذه الفترة التي فقد فيها أهل البلاد حكم انفسهم بأنفسهم ان جاء الفتح العربي يحمل معه دينا دوخ الامبراطوريات ولغة بدأت تشق طريقها بين اللغات العريقة في الحضارة مثل الفارسية واليونانية واللاطينية وسرعان ما انصهرت جموع البربر في البوتقة العربية الاسلامية بصورة اندهش لها المؤرخون الغربيون ولم يجدوا لها سببا يرضي مرارة الفشل الذي منيت به الحضارة الغربية على ايدي الرومان في سعيها لترويم أهل هذه الارض ·

ونشأت بعد ذلك الدول العظيمة مثل دولة الاغالبة ودولة الفاطميين ودولة بني حفص · وبدأت تظهر فيها علائم التنظيم والسلطة المحكمة · واذا كان الصراع بين دولة الاغالبة والبربر مستمرا آنذاك ومناواة البربر للفاطميين بعد نصرتهم مستحفلا في الفترة المعنية فان ذلك لا يمكن ان يدل الا على تصميم ليس بعده تصميم من أهالي هذه البلاد في حكم انفسهم بأنفسهم وادارة

---

(7) راجع الفرق بين الفينيقيين والبونيقيين في مقال للاستاذ محمد فنطر نشر بمجلة « الفكر » ـ السنة 15 ـ العدد 9 ـ جوان 1970 ـ ص 845 ·

شؤونهم كما طاب لهم • إذ كانوا يرون ، وهذا ما تقـره الأحـداث ، أن هذه الدول لم تقم الا على كواهلهم ولهذا فهم أحق الناس بالسيطرة على الحكم فيها فان إستوسق لهم الأمر فذاك والا فهو العصيان والتمرد والثورة حتى وان كانت الدولة منبثقة منهم مثل دولة الصنهاجيين •

وهذا التصميم على حكم انفسهم بانفسهم بقى متحكما فيهم وكثيرا ما لاحت بوارق الامل فى تحقيقه منذ ان انصهر القوم فى قرطاج ثم بعد ذلك فى العرب الفاتحين والعرب الزاحفين من بنى هلال وسليم • وان انطفأت معالمه احقابـا واحقابا فى عهد الرومان والوندال والبيزنطيين ، فقد بقى يتراءى فى الصراع القائم بين البربر والمستعمر •

ولقد وجد أهل البلاد فى حكم بنى حفص ما يرضى هذه الرغبة وشعـروا بأن الحكم بأيديهم حتى أتاهم وأتانا الاسبان ، صدى للرومان وغيره من الاقوام الزاحفة كالنرمان ، مذكرا اصحاب هذه الارض بان ادارة انفسهم بانفسهم لم تستوسق لهم وأنهم لم يصلوا ، كما ظنوا ، الى نهاية المطاف فى تحقيق رغبتهم الكامنة فى أنفسهم منذ فجر التاريخ وهى حكم أنفسهم بأنفسهم وأكثر من ذلك فان الكارثة ستطول وتطول بحكم البايات ثم الاستعمار الفرنسى •

وأخيرا برزت هذه الرغبة كأشد ما تكون فى تصميم الشعب بكـامله على تحرير بلاده من المستعمر وكان ما كان وانتهى الامر بتكوين دولـة لها لأول مرة فى تاريخ البلاد صفة الدولة بأتم معنى الكلمة لأنها ترتكـز على شعـور المواطنين بأنهم يكونون أمة قائمة الذات لها لغتها ودينها وذكرياتها الممتدة فى التاريخ ومصالحها العاجلة والآجلة وردود فعلها المشتركة الموحدة تجاه نفس الاحداث •

فكأن مفهوم الدولة لم يتم ولم يكتمل فى هذه البلاد الا عندما اكتمل مفهوم الأمة وبرز للعيان فى وحدة شاملة ضد الاستعمار الفرنسى •

لهذا فان التونسى لم يشعر فى فترة من فترات تاريخه بانه يحكم نفســه بنفسه مثل هذه الفترة • ولم يشعر شعورا حـادا بمسؤوليته فى الاحـداث السارة منها والسيئة مثل شعوره اليوم وهو دليل على انه ينتمى الى كيـان قائم الذات ماثل للعيان قد ارتقى من المفهوم الضيق للشعب الى المفهوم الواسع الشامل الذى تقتضيه عبارة أمة •

إذن بهذه المحاولة التى أردتها موضوعية وصلت الى النتيجة المرجوة وهى

اننا نكون أمة هى الأمة التونسية وانه يحق لكل منا ان يتصور أمته على نحو ما تصور جورج بومبيدو رئيس جمهورية فرنسا ، الأمة الفرنسية عندما قال :

« لا أظن انه يمكن اعتبار الأمة مجرد تجمع عدد من النـاس على رقعـة من الأرض ، فى فترة معينة ··· ولا أقصر فهمى للأمة فى مجـرد الالتفـات الى ماضيها واستعراض اطوار تاريخها ـ ففرنسا هى بالنسبة لى جميع العظمـاء الكتاب منهم والساسة ـ ولكنها ايضا خمسون مليونا من النـاس يعيشـون فى حدود مضبوطة ولهم لغة موحـدة ومؤسسـات ونمط من العيش خـاص بهم · ولقد بين رينـان (Renan) ان الأمة ليست رابطـة تخضـع للجنس ولا للغة ولا الدين فقط إذ هى هذا كله ولكن مع شىء آخر يمكن زيادته · هذا الشىء لا يمكن استشفافه ولا لمسه · وهو يتجسم فى نوع من التعبير ولكنه موجود وكل واحد منا يحس به فى قرارة نفسه · ولى انا شخصيـا مفهـوم بيولوجى للأمة · فهى عندى كائن حى · وهى بهذا لها ماض وحاضر ومستقبل وهى فى تطور مستمر · فيمكن ان يكون هناك تحـول بطىء للأمـة نفسهـا وللصورة التى ننظر اليها من خلالها وعلى كل للصورة التى نرى من خلالهـا علاقاتها مع العالم الخارجى » ·

البشير بن سلامة

لنستقل ثقافيا ···

« واليـوم ··· لا بـد أن نفكـر فى تحوير نظام التعليم بأكمله تحويرا أصوليا يتناول الجوهر واللب ولا بد أن نفكر بالخصوص فى روح التربية الملائمة وهذا يقتضينا ان نتعـرف على مقومـات الأمـة التونسية وأخص خصائصها حتى ننشىء أجيـالا على غـرار الأمـة التى نريد ·

ان الوقت قد حان **لنستقل ثقافيا** وذلك لن يكون حتى نوفق الى وضع النظام التعليمى الملائم لروح هذه الأمـة فى تمسكها بماضيها الزاهر وفى عنيد توقها الى غدها الضاحك ·

وحينئذ يجد شبابنا الغذاء الروحى الملائم ويتكونـون التكـوين الصالح فيمتلىء فراغ حياتهم ويكتسبون القدرة على الخلق والابداع وحينئذ يصدق الأمل ! ··· »

محمـد مـزالى

من مقال : منزلة الشباب التونسى
(الفكر ــ افريل 1957)

قصائد جماعية :

اقسم جسمي في جسوم كثيرة ...

شعر : المنصف الوهايبي
عمــار منصــور

توضيــح –

الشِّعــر كَــانَ في البدايــهْ
وفي عصورِ الإنحطــاطْ
ملكيَّةً فــرديَّــهْ
يقولـه في حضرةِ التِّمثالِ شاعر البلاطْ
الشِّعر كانَ لُغةَ المسجونِ للسجّــانْ
وكــانَ من حضارةِ الاوثـانْ
لكنّه في زمنِ القنبلةِ الذريـهْ
يصبحُ من وسائلِ الإرهابِ والحرّيهْ

1. – « **أبا جعفر ما طول عيش بدائم** » :

شكّبْ شكّــبْ
واشرَبْ واطربْ
وارقصْ والعــبْ
كــالاطفــالْ
قلْ للشّمسِ تعــالي بعد سَنهْ
مــا دامَ التمثــــالْ

يُعبدُ والنّاسُ نيامْ
ما دامَ المحكومُ غبيّا جاهلْ
لم يدركْ معنى الحرّيهْ
ويمارسُ جهرا عادتَهُ السرّيهْ
تحكمُهُ الشّهوةُ والرّهبةُ والفاقهْ
فليكشفْ كلّ منّا أوراقَهْ
لكنْ أضحكْ فالدّنيّا لا باسْ
أضحكْ يا أصلع مادمت بلا راسْ
أضحكْ ما دامَ المحكومُ إلى الظلمة مشدود
كالظلّ المشدود إلى الحائط
ولذا لن تنفعه الحركة
لن يقطعَ وهو المشدودُ حِبَالَ الشَّبكَهْ
هل يمكنُ أن نفصل بينَ الظلّ وبينَ الحائطْ ؟

حنياتُكم أفيونْ
وفكرُكُمْ عاطِلْ
فحكِّموا المجنونْ
وحاكِموا العاقِلْ

أعرفُ أنّ الحركَهْ
روحُ العَالَمْ
ماذَا يحدثُ لو تتوقّفُ هذِي الارضُ عن الدّورانُ ؟
والعالم كالجدولْ

مـاذا يحدثُ لو يتوقفُ هذا الجدولْ
يـا صـاح عن الجريـانْ ؟

آهْ لو يتحرّكُ هذا الجدْولْ
فستبزغُ من أقبيةِ الظلمةِ شمسُ الحرّيهْ
وستسقطُ أقنعةُ الاحزانْ
وستملأ قلبي أغنيّهْ
لم أسمعها منذُ زمانْ

(**أطفال ينشدون**) :

مطرًا يا مطرًا حلْ عيونِ الشرّ شرًا
واسقِ محمدْ وعليْ وفاطمةْ بنتِ النّبِي

وسيسمعُ هذا المحكومُ سيبصرُ هذا المحكومُ سينطقْ
من يوم توقّفَ هذا الجدولْ
لم تثمرْ أشجارُ الزيتونِ ولم تورقْ
لم يمسكْ فلاّح منجلْ
لمْ تنبتْ سنبلة واحدةً في الارضْ ...

2. — **شعشعانيـاتْ** :

سيّارة طويلهْ
كالشّارعِ الطّويلْ
تبتلعُ الطّريقْ
تقطعُ في اللحظةِ ألفَ ميلْ
... تعثّرتْ خطاكْ

وأنتَ يا أخي تسيرُ هنا هُنَاكْ
وقدْ تَشُجّ رأسَكَ السيّارَهْ
وتدفَعُ الخَسَارَهْ

أسيرُ في الظّلامْ
فقيرَة موائِدي
غنيَّة مزابلُ الملوكْ
تسرَّبَتْ إلى أعماقِ أنفِيَ الشّكُوكْ
الدّمُ والصّنَانْ
والعرقُ المخنوقْ
لأنَّني جبَانْ
كنتُ ولم أزلْ أقتاتُ من مزابلِ الملوكْ
ولم أزَلْ صعلوكْ

يتبعني البوليسْ
أسيرُ في الشّارعِ كالقدّيسْ
وفي الزّوايَا القذِرَهْ
أمَارِسُ السَّعَادَةَ المحجَّرَهْ

كتبتُ قطعة صوفيَّة مبتَكَرَهْ
صلّيتُ ركعتينْ
ثمّ تَلَوْتُ البَقَرَهْ
بعْدَ أن استمنيتُ مرّتينِ تحتَ الشَّجَرَهْ

أصْطَادُ ظِلِّي في المِيَاهِ العَكِرَهْ
وأربحُ الدّارينْ
أضربُ عصفورينِ كلّ لحظةٍ بحَجَرَهْ
المَالُ والبنون زينَةُ الدّنيا وزادُ الآخِرَهْ

منْ يعرِفُ الالَمْ
لو عشتَ في الارضِ بلا أحبابْ
تبحَثُ عن شيءٍ ولا شيءَ – مشتَّتَ الاعصابْ –
تظَلّ كالذّبَابةِ العمياءْ
تسقطُ حيثمَا كانَ .. على نَسِيجِ عنكبوتْ
تريدُ أنْ تبتلعَ البحرَ ولا تموتْ .

تدورُ حولَ نفسِهَا أشواقُنَا
نمشِي على رؤوسِنَا نموتُ واقفينْ
يبصقنَا المقهَى فيبتلعنَا الطّريقْ
تمشي على رقابِنَا الاشبَاهُ والاذنَابْ
تنكرنَا الكلابْ
في مدنِ الافيونِ والضّبابْ .

العربية اولا !

بقلم : جعفر ماجد

كثر الحديث هذه الايام عن التعريب وفتح حوار واسع فى الصحف اليومية والمجالس الثقافية والرسمية ، ولئن كان من الغريب أن تثار هذه القضية بعد مرور خمس عشرة سنة على الاستقلال واعتراف كل البرامج التعليمية بحتمية التعريب وتقصيرها فى الوفاء بالوعد ، فالأغرب من ذلك كله أن يوجد اليوم مناهضون متعنتون يقاومون الاتجاه ! والمطالبة بالتعريب حق من أبسط حقوق المواطن التونسى الذى يعيش فى ظل دستور يقر أن العربية هى لغة البلاد ! وقد أدرك أسلافنا الاقربون غداة انتصاب الحماية أن الاستعمار الفرنسى يخطط للقضاء على الشخصية التونسية بمحو لغته وكل مقوماته الحضارية فهبوا ـ بحماس وطنى عارم ـ للدفاع عن العربية وتنبيه مواطنيه الى أن الاعجاب بالغالب قد يعمى بصائرهم عن أخطار الفرنسة الماحقة ـ وهل أدل على ذلك من جهود « الخلدونيين » الذين أمكنهم سنة 1906 تأليف مصنفات فى العلوم باللغة العربية يعود اليها تلاميذ الجمعية الخلدونية حتى لا يشعروا بأن العربية غير قادرة على مسايرة الحضارة ، وفى عدد (الصواب) الصادر بتاريخ 24 أوت 1923 كتب محمد الجعايبى مقالة عنوانها :(اللغة العربية والقومية التونسية) قال فيها بالخصوص : « ولما رأى المحتلون هذه الصبوة الحسنة نحو لغتهم الدخيلة أخذوا يهدمون صروح اللغة العربية ويقوضون أركانها ليس فى الادارات الدولية والمدارس الابتدائية فقط ، بل حتى فى الامور الحقيرة والاعمال التافهة ، علما منهم أن ذلك يساعدهم على قتل هذه اللغة التى فى القضاء عليها قضاء على القومية التونسية بأجمعها » .

وتحرك التونسيون سنة 1931 للدفاع عن العربية بمناسبة انعقاد مؤتمر ديسمبر الشهير وإسناد رئاسته الى ويليام مرسى كبير الدعاة الى العامية وأستاذهم الذى علمهم السحر مما اضطره الى تعديل موقفه والتصريح بأن (اللغة العربية تتمتع فى جميع الاوساط الاسلامية بالمملكة التونسية باعتبار عظيم من جهة كونها اللغة المقدسة ولغة الثقافة واللغة الرسمية واللغة القومية) ، وقد ألقى شيخ الاسلام أحمد بيرم محاضرته عن حياة اللغة

العربية (1) بهذه المناسبة وقال بالخصوص : (اذا علمت شخصا بلغته فقد نقلت العلم الى تلك اللغة أما اذا علمته بلغة أخرى فلم تزد على أنك نقلت ذلك الشخص اليها) • وما أظن المناهضين للتعريب – اليوم – إلا مهاجرين غرباء !

وهاجمت مجلة « المباحث » دعاة الكتابة بالحروف اللاتينية وعبرت عن عواصف الغضب والمقت التى اجتاحت البلاد بعد قيام أحد المصريين بهذه الدعوة وأكدت باسم تونس أن العربية هى (وطننا العقلى) •

وهذه المواقف القليلة وما كتب فى العربية شعرا ونثرا أكبر دليل على شعور التونسيين بأن اللغة العربية جزء من الشخصية الوطنية التى يعمل المستعمرون على تفكيكها – ولكن إذا أخفق المحتل فى فرض وصايته السياسية الى الابد ، ألا يدل وضعنا الثقافى الحاضر على أنه نجح فى خطته الثانية ، وهى الاستيلاء على المقومات الروحية وتكوين جيل مقطوع لا يرى خلاصه إلا فى الاحتماء بظل السيد القديم ؟

بين الفرنكوفونية والعامية :

ولو تساءلنا الآن من هم أعداء التعريب لوجدناهم صنفين ، دعاة الفرنكوفونية ودعاة العامية !

أما الأولون فهم أولئك الذين تحمر وجوههم خجلا حين يخطئون فى التكلم بالفرنسية أو فى كتابتها ويضحكون من دقن سيبويه فخرا واعتزازا حين يلحنون فى العربية ، حتى اذا كانوا من مدرسيها ! وهم يناهضون التعريب لاعتقادهم أن مستوى التعليم ينحط اذا درسنا بالعربية وبعض الاذكياء منهم يقولون : لأننا لا نملك الاطارات الكافية ، ولا أظن أن واحدا ممن يدعو الى التعريب يفكر فى القضاء على اللغات الحية ضمن البرامج المعربة ، فماذا يمنع الطالب التونسى الذى يكون تعلم الفرنسية وغير الفرنسية من أن يعود الى أحدث البحوث العلمية فى غير اللغة العربية حتى لا يتخلف عن الركب والمصطلحات ؟ المصطلحات ليست مشكلة اذا اتفقنا على ما اتفق عليه كل الناس وتركنا التقعر والبحث فى المظان القديمة عما أصبح اليوم مستعملا فى كل اللغات ، وعلى المسؤولين أن يفكروا فى الباقى ، أى فى تكوين الاطارات القادرة على التدريس باللغة الأم ؛

(1) تحت هذا العنوان أيضا ألقى الشيخ محمد الخضر حسين مسامرة بالخلدونية سنة 1909 •

أما دعاة العامية فهم أشد خطرا فى رأيى من الصنف الاول ،فهم يتكلمون باسم التقدمية والجماهير الشعبية ويزعمون أنهم يريدون أن يعيدوا الى الشعب لغته الحقيقية لان العربية لغة برجوازية ـ وهم يتحركون اليوم ليقنعوا الناس بأن التعريب أصبح قضية الرجعيين فى البلاد إلا أنهم أخفتوا أصواتهم بحيلة وباتوا يتحدثون ـ لا على تعميم الدارجة ـ بل عن «تطعيم العربية بالعامية» (I) وجعلوا من اللهجات الدارجة حرفة ومرتزقا !

سياسة ولا سياسة :

جائز جدا أن تكون قضية التعريب أداة سياسية تتستر بها بعض الطوائف والكتل ، ولكن هذا لا ينفى أنها قضية شريفة ومطلب مشروع ، وعلى المتكلمين باسم الايديولوجيات التقدمية ألا يتركوها فى أيدى الرجعية كما يدعون ، أما اذا اتهمنا التونسيين كلهم بالرجعية لأنهم يريدون التعريب فلا مفر لهم من أن تقدميتهم لا تصلح إذن لهذه الأمة ـ إننا نرفض أن يتخذ التعريب سلاحا سياسيا أو دعائيا ولكننا لانستطيع نكران ما للفرنسة منأبعاد سياسية خطيرة وكذلك تعميم اللهجات العامية ، فالأرقام والتصريحات المهولة المزعجة التى عرضها الاستاذ محمد مزالى فى افتتاحية مجلة « الفكر » (2) غنية عن التعليق

وبلادنا بتقاليدها وحضارتها العريقة لا يمكن أن تعد لغتها فى مجموعة اللهجات الافريقية ولا أن تقطع صلاتها بماضيها ـ لقد حاول المحتل أن يغلب اللهجات على اللغة الأم ويحرك النزوات الاقليميةفلم يفلح ، وما الدعوة الى العامية إلا امتداد للاستشراق التبشيرى ، الذى مات فى مطلع هذا القرن !

وهكذا نرى أن للعربية عدوين لا بد من مواجهتهما بنفس القوة وأن قضية التعريب اذا لم تعتنقها القوى الحية فى البلاد يمكن أن تتحول الى لعبة سياسية وسلاح ذى حدين .

ج. م.

(I) لا أظن أن البشير بن سلامة من هؤلاء وقد كتب فى مقاله عن (مقومات الشخصية التونسية ـ الفكر ـ جانفى I97I) ـ وتنكشف بذلك ترهات من يريد إحلال العامية مكان الفصحى .

(2) فيفرى I97I .

في غير العمودي والحر :

هذا اليأس في عينيك

شعر : حمادي التهامي الكار

إلى : لام . ميم .

عَيْنَايَ العَالِقَتَانِ بعينيكْ
سَاعَةَ الذّبُولْ
كَانَتَا تَبْحَثَانِ عَنْ أفُقْ
عَنْ قَرَارٍ تُذْبَحُ فِي أرْجَائِهِ
مَشَانِقُ الافُولْ
عَيْنَايَ - وَأنَا فِي عَيْنَيْكِ أسْتَحِمُّ -
وَالوَدَاعُ شَبَحٌ عَلَى رُؤُوسِنَا ،
كَانَتَا تُفَتِّشَانِ عَنْ شُبَّاكْ
عَنْ كُوَّةٍ أنْظُرُ مِنْ خِلالِهَا إلَى العَالَمْ
كَانَتَا - وَالفَضَاءُ إسْمَنْتٌ تَكَدَّسَ عَلَى قَلْبَيْنَا -
زَنْبَقَتَيْنِ تَفُوقَانْ
وَتَنْشُرَانِ الظِّلْ
فِي أرْكَانِ العَالَمِ الوَلْهَانْ
آهٍ عَيْنَايَ فِي عَيْنَيْكْ
سَاعَةَ الفَنَاءْ
- وَأنَا المَذْبُوحْ -

والصَّمْتُ بَيْنَنَا سِيجَارَةٌ تَحْتَرِقْ
عَيْنَايَ
– وَأَنْتِ مَدِينَةٌ بَنَيْتُهَا فِي دَاخِلِي –
كَانَتَا تَبْحَثَانِ عَنْ مِدْفَعْ
كَانَتَا تَبْحَثَانِ
لَكِنَّ أَيَّامِي صَحْرَاءُ بَلْقَعْ
غَنَّيْتُ عِنْدَمَا كُنْتُ وَحْدِي
لَكِنِّي نَسِيتُ أَنْ أَشْرَبَ لَيْلِي فِي كَأْسْ
فَفَاضَ العُمْرْ
وَوَجَدْتُنِي فِي عَمِيقِ اليَأْسْ
أَرْقُصُ عَلَى نَغَمَاتِ الأَوْتَارِ المَقْطُوعَةْ
– طَائِرًا مَطْعُونًا –
بِيَدِي أَحْمِلُ نَبَضَاتِ الوَجْدْ
عُمْرِي الذَّابِلْ
زَرَعْتُهُ وَرْدَةً
عَلَى جَبِينِ العَالَمْ
لَكِنَّمَا الزَّمَنُ الظَّالِمْ
مَرّْ
فَسَقَطَ اللَّيْلُ شَوْكَةً فِي كَأْس
شَرِبْتُهَا
تَحَجَّرَ الدَّمُ فِي الحَلْقْ
لَمْ أَجْرُؤْ عَلَى البَوْحْ
لَمْ أَقْوَ حَتَّى عَلَى النُّطْقْ

ح. ت. ك.

1971 – I – 15

المطالعة

بقلم : محمد الهادي العامري

إني وإن كنت أفضل رأي الاديب الاندلسي جعفر بن سعيد في التملص والتبرؤ من الحكم فلست على مذهبه في مجونه واستهتاره ومجابهته لابيه في المقطوع الذي طلب فيه إعفاءه من التهيو للحكم الذي يقول فيه :

وللملاح عيون　　تميل نحو الملاحه
وكاس راحي ما إن　　تمل مني راحه

كلا بل كنت أخالفه واذهب مع رأي القائل :

عشق الغواني هوان في نهايته
وقلما فاز ربّ العشق بالارب
لكن عشق كتب العلم المجد آخره
فإن صبوت ففي علم وفي كتب

وهكذا خلقت مستهاما بالمطالعة وشعرت بلذتها ونجاعتها منذ طفولتي - أقرأ كل شيء ظفرت به يدى كيفما كان لونه أو نزعته أو مذهبه أو أهدافه حتى أني قرأت وأنا أحفظ القرآن الكريم بمكتب سيدنا كتاب (ألف ليلة وليلة) بما في كتاب ألف ليلة وليلة من أدب إباحي ومجون ساخر وتهتك فاجر ودعارة قبيحة سيئة وأشعار غادرها الحياء وأخبار حالفها السخف وثافنها الهُراء وقصص تذكى نيران الغريزه الجنسية في المراهقين وما إلى ذلك من أفانين المغريات المؤداة بطلاوة

العرض وخلابة الزخرفة . مما لا يسوغ لطفل في سننا أن يطالعه – لم أقف عند هذا الحد بل كنت أطالع كل ما يقع بيدى من القصص التي نسجها خيال كتاب العامة الذين كانوا يضعون هذه القصص والكتب للارتزاق وما عليهم أن تَسوء أو تصلح الاخلاق : قصص متنوعة : من رأس الغول ... إلى قصة الملك الحجاف : إلى العنترية – إلى الازلية – لا تهدف إلى إصلاح نفس أو تهذيب خلق أو توعية ضال أو بث مبدإ سام . وإنما كتبت للاتجار وجلب العامة والتأثير في أرواحهم ليشتروها . وقد ظلت المطابع في البلدان العربية حقبة من الزمن لا تطبع إلا هذا الضرب من الكتب سعيا وراء المادة لانها مضمونة الرواج في الاسواق . والعامة تلتهمها التهاما لبراعة كتابها في التأثير على مطالعيها إغراءا وتشويقا . وتفننهم في نفسية أولئك النّاس تفننا غريبا . وذلك ما كانت تشكوه مكتبة الاطفال من النقص الفادح في الربع الاول من القرن العشرين ولم يوفق الكتاب إلى سد ذلك الفراغ في مكتبة الطفل العربي بل كان التخلف عاما حتى في وسائل التربيّة والتهذيب وهو ما يحمل على مطالعة كل كتاب ...؟ وإذا صح ما قيل من أن الكتاب كالصديق فالكتب التى أتيح لنا مطالعتها من أفسد ما يصاحب الطفل ويحالف ومن أسوإ ما يدرس ويطالع ... للتفسخ الاخلاقي المبثوث فيها وانحطاط تعبيرها وسخف الخيال البشع الذى أملاها وصورها . ولما التحقت بالعاصمة وانتظمت في سلك الطلاب لم أجد ما كنت أتشوق إليه من الاجواء التي أريد أن أحلق فيها وكنت صبّا بها فكنت كمن يتخيل وجود المدينة الفاضلة ويجاهد أن يعثر عليها فلم يجد لها أثرا في الخارج إلا في مخيلته وكيف أتمكن منها من وراء أساليب متحجرة لا تشوق ولا ترغب ولا تكوّن الشخصية فضلا عن أن تحقق الأحلام التي تخامر النفوس؟ كانت أمنيتي الثّمينة أن أكون كاتبا يوما ما أقتدر على الإعراب عما يجيش بصدرى وما يدور في خلدي أو شاعرا يسحر الالباب ببيانه ويفتن الدنيا

بروعة تصويره وطلاوة خياله ويؤز النفوس الرقيقة أزّا ولكن كل ذلك كان غير ميسور تحول بيننا وبينه كتب غير منتقاة وأساليب لا تتصل بأرواحنا انذاك والواقع أن كل معهد مهما أمعن معلموه ومدرسوه في تثقيف الإنسان وإعداده فما هم ببالغين ما يرمون إليه وهيهات أن يتمكن أو يتمكنوا من الوصول إلى الغاية المنشودة ما لم يعتمد الطالب على نفسه ويكوّن شخصه ويبرزه بتحقيق آمانيه ومطالبه . فالمعلمون أو الاساتذة ينيرون ويرشدون والطلاب هم الذين يجاهدون ويتعبون ويحاولون وهم الذين يطالعون ويتجشمون وبدون هذه الطريقة لا يفلحون ولا ينجحون وبدون هذه الوسيلة لا يكون المعهد إلا إنسانا محدود المدارك في دائرة أضيق من سم الخيـــاط ؟

والمطالعة المفيدة كفيلة بترقية مستوانا وتثقيف عقولنـــا وسعة معلومـــاتنا ومما قاله في هذا الصّدد الكاتب المصري إبراهيم المازني قال عن نفسه : « مـــا أظن إلا أن الله جلّت قدرته قد خلقني على طراز عربات الرش التي تتخذها مصلحة التنظيم : خزّان ضخم يمتلىء ليفرغ ويفرغ ليمتلىء . أحس الفراغ في رأسي . ومـــا أكثر مـــا أحس – فاسرع إلى الكتب التهم ما فيهـــا واحشو بها دماغي حتى إذا شعرت الكظة وضايقني الإمتلاء رفعت يدي عن ألوان هذا الغذاء وقمت متثاقلا مشفقا من التخمة فلا ينجيني منها إلا أن أفتح الثقـــوب اه ... »

خصوصا إذا طالعنا مطالعة مفيدة تمكننا من فهم ما نطالع وتلخيص ما نقرأ ونقد ما ينتقد ... وبذلك نقتدر على خلق الاسلوب الخاص بنا الذي نتميز به إذا كتبنا كما تميزت أساليب الكتاب الاقدمين والمحدثين وتباينت طرقهم فأسلوب الجاحظ الحصيف المرح أحيانا بالنكتة المزوق بالدعـــابة الساحرة والتهكم الساخر غير أسلوب ابن المقفع الجاد في نثره الرصين في حوكه المستعصم بالحكمة وليس تحرير الإصبهاني يشبه في

شيء تحبير القالى في النوادر والامالى وطريقة ابن خلدون في التصوير والتحليل غير طريقة الغزالى الممتازة بالدقة وروعة التصوير وليست أساليب مقلديهم من المحاولين النسج على منوال البعض كأساليبهم الاصليه كما فعل أبو حيان التوحيدى في اقتفائه لاثر الجاحظ فما شق له غبارا . وبالتالى فلكل أسلوبه ولكل طابعه ولن نصل إلى الإمتياز والإنفراد بأسلوب ما إلا إذا قرأنا لغيرنا وأكثرنا واتخمنا كما قال المازنى فنهضم كل أسلوب ونخلق من الاغذية الكثيرة أسلوبا خاصا بنا . — هناك شيء لم ألفه بقريتنا (القلعة الصغرى) فقد كنت لا أحصل على الكتاب لاطالعه إلا بشق الانفس أو بتضحية مالية لا قدرة لي عليها .. أما بالعاصمة فقد وجدت المكاتب مفتحه الابواب فاقبلت عليها إقبال من إشتد ظمؤه إلى الماء القراح إثر عطش شديد فأخذ يعب الماء عبا بنهمة خطره خارقة وطالعت في فترة من الزمن ليست بطويلة ما يفوق عن الثلاثة آلاف مجلد بمكتبة الخلدونيه كان يعيننى على ذلك خازن كتبها المكلف آنذاك المرحوم السيد عمر الخنقى الذى اتخذته صديقا أتطوع بالنيابة عنه إذا تخلف أو عرض له ما يمنعه من الحضور وطالعت جميع المجلات الموجودة بالمكتبة التي صدرت بالشرق : الهلال من أول نشأته المنار من يوم بروزه المقتبس — المقتطف من ساعة ميلاده إلى عشرات السنين من حياة هذه المجلات بما حوت من بحوث مفيده وآراء طريفة وتراجم شامله لمعظم آداب الامم المتقدمة الراقية وسير العلم والعمران فيها ودعوة إلى الإصلاح في سائر الميادين سديدة وحازمة ومسايرة لركب العرفان جدية وناشطه وأفكار حصيفة نَيِّرة وثاقبة ودراسات قيمة رائقة في سائر الفنون ونقد وأخذ ورد وأدب غض وعرض جذاب وبتعبير خلاب بحيث يشعر الطالب في تلكم الاجواء الفاتنة أنه في جنّة الكتب الساحرة يسامر أنبغ المفكرين ويجالس كل الفاضلين وكأنما رد الإله نفوسهم والاعصر ؟ ثم هذه المكتبه العبدلية

الزاخرة بالمخطوطات والمطبوعات والفنون كانت تقيم حول جامع الزيتونه وعلى مقربة منه قاب قوسين أو أدنى وتفتح أبوابها للأساتذة والطلاب فيتهافتون عليها من كل صوب وكنت لا أكاد أفارقها ولازمتها حتى إستوعبت أنفس ما فيها من نفائس : مطالعة ودراسة : وكان البعض من خزنة كتبها والقيم بها وهو شيخ كبير مشغوفا برمان القلعة الصغرى فإذا أكثرت عليه من طلب الكتب طالبني برمان القلعة الصغرى ملحا فى ذلك فأعده على نية الخلف لا الوفاء إذ لا قدرة لي على إجابة طلبه لاني تلميذ صعلوك (1) والرمان ليس في استطاعتي شراؤه لاقدمه للخازن ؟ ولكنى أعده وعدا غير جازم ليسهل لي مؤونة الإطلاع ودراسة الكتب بدون تململ ... وأخشى إن صارحته بالحقيقة أن يتثاقل ويقصر ويمانع . وذلك ما لا أرغب فيه وأنا المحب المعنى ..

ولعل أمثال هذه الوعود غير الحازمة تغتفر في أمثال هذه القضايا ؟

ثم كانت مكتبة قدماء الصادقية وهلم جرا من هذه المكاتب التي امتازت بها العاصمة آنذاك طالما ترددت عليها وانتفعت وكان الاستاذ الحقوقي البارع سيدي مصطفى الكعاك يرأس جمعية القدماء آنذاك فإذا رآني مقبلا على مكتبة القدماء تبسم قائلا لاصدقائه مداعبا : « أتت المكتبه المتجولة التي تمشى على قدميها » فأضحك من دعابته ولطفه وأنسه ؛ وهكذا قضيت الحياة وسأقضيها كذلك إلى ما شاء الله مصداقا لقول شاعرنا الشاب الظريف الرقيق جمال الدّين حمدي :

قد عشت للحرف : عمري صفحة كتبت
يد الزمان عليها أسطرا بدمي

قد عشت للحرف حتى عوضت وترى
أعصاب قلبي فويل القلب من نغمي

---

(1) الصعلوك الفقير وهذا اللفظ أخرجته العامة عن معناه فأطلقته على الطويل القوي كعادتها فى العبث بالالفاظ .

قد عشت للحرف حتى ذبت في جملي
سهرت منذ آعتنقت الحرف ـ لم أنم

قد عشت للحرف إن الحرف دمرني
أواه من ورقي أواه من قلمي

وسأموت بإذن الله وقلمي بيدي وكتابي فوق صدري كما يموت الجندي الباسل في ساحة الوغى يخر صريعا ورشاشه بيد وحربته باليد الاخرى موت الشهداء الابطال عندما يغادرون هذه الدار ؟

م٠ هـ٠ ع٠

حلم في الحمامات

شعر : رياض المرزوقي

الى حمامتي الغالية ف.

أحـــلام

1. — الشــاطيء :

لَـنَـا في الشاطيء المُقْفِرْ   لـقــاءٌ أخضـرٌ أخضرْ
بِـلاَ أضواءِ أفــراحٍ   ولا طـبـلٍ ، ولا مِزْهَرْ
فـأشربُ مِلْءَ أضلاعي   غراما قانيـاً أحْمَرْ

2. — البحـــر :

قلبـي كـالبَحْـرْ
صـاف وعميقْ
يَنَــامُ الـدَهْــرْ
يضمّ الاصدافَ الحُمْــرْ
إنْ مَسَّتْهُ الـريحُ ... يُفِيقْ

* * *

قـلبـي كـالبَحْــرْ
في ليلِ شتَــاءْ
أمـواجُـهُ سُود خُضْـرْ
يَنْشُرُ حقْدَهُ فـوقَ الصَخْــرْ
يتكَسَّرُ كَعَـوِيلِ نِسَــاءْ

قلبي كالبَحْرْ
ملحُهُ غَدرْ
أخافُ ، أخافُ عليكِ
وأهربُ منهُ إليكِ
أعرِفُهُ غادرْ
لكنْ لا أقدرُ أحميكِ
لانّهُ قَلبي ... وأنا شاعرْ !

3. — السّور :

يَا سُورُ
بَنَاكَ السُمْرْ
ليردّوا كيدَ البحْرْ
غلقوا بابكَ ، وأضاعوا المفتاحْ
ورأيتُ المكتوبْ :
« لا يُفتَحُ إلاّ بجرَاحْ
ودماءِ قُلُوبْ . »

4. — أزقّة الحيّ القديم :

عرفتُ التيهَ ، تذوّقتُ الاتعابْ
دربي غطّاهْ ضبابْ
قلبي يقفزُ ، يبحثُ عنْ بابْ
رجلايَ رصاصْ

أسعى مِن غير خـلاَصْ
لـم يُنْقـذني إخلاصي ، فلِماذا الإخلاصْ ؟

وسرتُ ...
حتّى دميَتْ أقدامي
عطشتُ ...
ولا مـاءَ سوى أحـلامي !

يُمْنَـايَ زقَـاقْ
يُسْـراي زقَـاقْ
خلفي البَحْـرْ
وأمَـامي ... مَنْ يـدرى ؟

* * *

زقــاق ! !

٥ . — بيتـهـا :

رأيتهُ مَـرّاتْ
لا أعرف لـونَ البَـابْ
لا أعرفُ لـونَ الشبّـاكْ
لـكنْ أعرِفُ أنّ الفُلَّ هُنَـاكْ
وَهُنَـاكَ الاشواكْ !

كـان شجـاعْ
طرقَ البَـابَ وخَـافْ

رأى المستقبلَ ليلَ زفافْ
دفنَ الغيْرَهْ
في قلبٍ ينزفُ منذُ سنينْ
أهدى اليَسْمينْ
هنَّأها ، هنَّأ غيْرَهْ !

القرية الظالمة :

1. ـ أودّ لوْ أشتمُكِ ، أودّ لوْ أسبُّكِ
لكنَّني أحبُّكِ !
أودُّ لوْ أكرَهُكِ
لكنَّني أحبُّكِ ...
لانَّهَا تُحِبُّكِ .

2. ـ أهلُكِ قالوا عنِّي
همسُوا في الاركَانْ
عملُوا في نزع حياتي تحتَ الجُدُرانْ

3. ـ لانِّي كنتُ رسولَ الحُبِّ
لانِّي ناديتُ بأنِّي أحِبّ
زرعُوا دربي بعُيُونٍ ... بعُيُونِ
ذبحوا قلبي ...
طردُوني

د. م.
ديسمبر 70 جانفي 71

مسرحية العدد :

لبس للثورة قيمة

بقلم : حسن نصر

الشخصيـــات

عمـار : صانع المتفجرات الشيخ
غيث : ثائـر شـاب
صلاح : ثائـر شـاب
يمينة : عشيقة القائد ساسى
الصبى : فى حدود الثانية عشرة من العمر

رؤوس الجنـد وبنـادقهم

المنظـر العـام

الزمان : قبيل بزوغ الشمس بقليل ثـم وقـد اخـذ الشفـق يصطبغ باللون الاحمر القانى والنور ينتشـر شيئا فشيئا ...

المكان : فسحة فى جبل وقد ظهر فى أقصى اليسار السهـل والشفق ، وفى الناحية اليمنى برزت صخرة ملسـاء شـامخة ...

اللـوحـة الأولـى

يظهر غيث فى هيئة ثائر يلبس لباس الثوار ويحمـل السلاح ومن خلفه عمار يحمل كيسا على ظهره ينـوء بحمله ويعرج ايضا .

عمار : (وهو يتنفس بصعوبة) لقد اتعبنى السير .
غيث : اننا لا نزال فى أول الطريق .
عمار : (متوقفا ثم رافعا بصره الى الجبل) انها طريق وعره .

غيث : كل الطرق فى هذا الجبل وعره ٠

عمار : كل الطرق فى كل الجبال وعره ٠

غيث : لكنك عرفت مثل هذه الطرق من قبل ٠

عمار : لقد هجرتها منذ مدة بعيدة ٠

غيث : هل تراك اليوم نسيتها أم هى تغيرت فى نظرك ٠

عمار : ان رجلى ما فتئت تؤلمنى ٠

غيث : (هنيهة صمت) لا تفكر فيها ٠

عمار : كيف لا أفكر فيها اننى لا أكاد أقوى على السير ٠

غيث : (فى لهجة شبه حاسمة) علينا ان نصل فى الوقت المحدد ايها الرجل٠ يجب ان تتناسى وجع رجلك هذا ٠

عمار : لكنها توجعنى فكيف تريد منى أن أنسى ووخزها يكاد يعصر قلبى ٠

غيث : بامكانك ان تنسى اذا اردت ذلك ٠

عمار : أقول لك أن الألم يكاد يقصم رجلى ، ألا تستطيع أن تفهم ٠

غيث : ومع ذلك يمكنك أن تنسى ٠٠ اذا أردت أن تقهر الألم يجب أن تتناساه ولا تفكر فيه ٠

عمار : (وهو يتطلع فيه باستغراب) من أين تعلمت هذه القواعد ٠

غيث : (بعفوية) هكذا يقول لنا القائد ساسى كل الناس يعرفون ذلك ٠

عمار : (فى صوت اكثر رصانة) لكن ليست كل الآلام يمكن للانسان ان يتناساها ٠٠٠ هنالك آلام تبقى لا يمكن قهرها ٠٠ اننى أقول لك هذا عن تجربة ، فأنا أكبر منك عشت طويلا وعرفت الكثير من الاشياء ٠

غيث : (فى غير اكتراث) وماذا تريد أن نفعل الآن اذا كانت رجلك تؤلمك ، فنحن مرتبطون بتعليمات ٠٠ والنهار بدأ يتضح وربما اكتشف الجنود امرنا ٠ (ينظر الى عمار وهو يتألم فيرق له قلبه ويتقدم منه) اعطنى أحمل عنك بعض هذه الاعباء ٠

عمار : (يناوله الكيس) حسنا فعلت ، الآن اصبحت شابا لطيفا ٠

غيث : فلنكف عن الثرثرة ، وهيا بنا ٠٠ هيا ، يجب ان نصل فى الوقت المحدد ٠

عمار : أرجو أن لا يكون احد يتعقبنا ٠

غيث : (ملتفتا حواليه) يبدو أنا فى مأمن الآن لقد ابتعدنا عنهم ٠

عمار : (وهو يشير الى الكيس) لو لم يكن هذا الكيس لما كانوا ليصيبونى ، الخنـازير ٠

غيث : (فى زهو) لكننى فتحت عليهم سيلا من النار ٠٠٠

عمار : ربما تكون أصبت واحدا منهم ٠

غيث : لقد فروا هاربين ٠

عمار : لا شك فى أنهم ذهبوا ليخبروا عنا ٠

غيث : كان بامكانهم ان يلاحقونا ٠

عمار : انها دورية حراسة قليلة العدد ٠٠ توهموا اننا اكثر منهم قوة ، فلم يقدروا على الوقوف فى وجوهنا ٠

غيث : لا شك فى اننا الآن بعيدون عن الخطر ٠

عمار : نعم بعيدون (ينحنى يتلمس رجله) أريد أن أرى هذا الجرح ٠٠٠

غيث : (دون ان يلتفت) دعنا من أمر الجرح الآن سنراه فيما بعد ٠

عمار : (وقد جلس على الارض واخذ يعالج رجله) انه لا يزال ينزف دما ٠٠٠

غيث : لماذا فتحته ٠٠ انك تفوت علينا الوقت ٠٠ أرنى (ينظر فى الجرح) ألم أقل لك انه جرح غير خطير ٠

عمار : انك لم تضع هذه الخرقة كما ينبغى ٠

غيث : دعنى اعد ربطها من جديد ، وعلينا بعد ذلك ان نواصل السير ٠٠٠

عمار : لماذا انت مستعجل الى هذا الحد ٠

غيث : يجب ان نلتحق بالجماعة قبل بزوغ الشمس ٠

عمار : كم يلزمنا من الوقت للوصول اليهم ٠

غيث : ربما ساعة أخرى من الوقت ٠

عمار : (فى استرخاء) ساعة أخرى ٠

غيث : على أكثر تقدير ٠

عمار : (وهو يتشاغل برجله) لا أظن اننى قادر على الذهاب معك ٠

غيث : (فى استغراب) لكننى لا أرى فى جرحك ما يدعو الى كل هذا الخوف ، انك تعرضنا للخطر بسبب هذا التصرف لقد بدأ النهار يتضح ٠٠ سيكتشفون أمرنـا ٠٠

عمار : اذا اردت ان تلتحق بجماعتك اذهب ولا تنتظر منى ·

غيث : (مستغربا) ماذا تقول ؟ !

عمار : أقول لك لا تنتظرنى ، اذهب الى جماعتك ·

غيث : (وهو يذهب ويجيء) أنا لم أفهم شيئا ·· بأى لغة تتكلم ماذا تعنى ، ماذا تريد أن تقول بالضبط ·· تكلم معى بوضوح ·

عمار : (فى لهجة حاسمة) قلت لك اذهب الى جماعتك ، لا تنتظرنى ، أنا لست ذاهبا معك ·

غيث : وأين ستذهب اذن ·

عمار : لقد قررت الرجوع الى بيتى ·

غيث : (صارخا) ماذا ·· تريد ان ترجع الى بيتك ، هل تعى ما تقول ·

عمار : نعم قررت الرجوع وأنا أعى ما أقول ·

غيث : وهل تظن انك قادر على الرجوع ·

عمار : وماذا فى ذلك ، اتحسب اننى سآتيه فى هذه المسالك أم انك خبير بها أكثر منى ·· اننى ابن هذا الجبل اعرفه بكل تفاصيله من قبل أن تجيء أنت الى هنا ·

غيث : (مغيرا لهجته) هيا كفانا من هذه الثرثرة يا عم عمار ·· أهذا كله بسبب الجرح ·· جرح بسيط يغير موقفك ، يا للغرابة ثم ان الجماعة ينتظروننا وسيتولون معالجتك بمجرد أن تصل · لديهم كل أنواع الادوية اللازمة ، لا تخش شيئا ·· ان مسألة الرجوع الى بيتك فيها مخاطر كبيرة ، فسيكتشفون أمرك ويعرفون انك اصبحت من الثوار ·· خير لك أن تنهض وتنسى حكاية هذا الجرح ·

عمار : لأننى قررت الرجوع وليس ذلك بسبب الجرح ، انه كما ترى ليس بذى أهمية (يأتى حركة من رجله) انما قررت الرجوع وكفى ·

غيث : اذا لم يكن ذلك بسبب الجرح فلأى سبب آخر اذن ·· لماذا لم تعارض فى الذهاب منذ البدء ·· لماذا لم ترفض رسالة القائد ساسى منذ اللحظة الاولى ·

عمار : ها أنا ذا أرفضها الآن ·

غيث : الآن ·

عمار : نعم الآن ·

غيث : لم يعد من حقك أن ترفض الآن .

عمار : هل أصبحت تفرض على مواقفك .

غيث : انت الذى فرضت على نفسك ، لقد قبلت منذ البدء الذهاب معى فلماذا تتراجع الآن .

عمار : أنا حر فى أن اختار الموقف الذى أراه وفى اللحظة التى أريدها .

غيث : انك تعرضنا للخطر بسبب هذا الموقف ، ثم ان الجماعة قد احتاجوا اليك .. اذا قررت حقا الرجوع فستقوم بعمل غير شريف .. لماذا قبلت منذ البدء بعد ان تعرضت للرصاص وكلفت نفسك هذه المشقة .

عمار : (بعد صمت قصير وقد جلس القرفصاء) اننى استطيع أن أكون أكثر نفعا فى بيتى .

غيث : وتستطيع أيضا أن تكون نافعا لنا فى الجبل .

عمار : أنا لا أدرى لماذا اذهب معك الى هذا الجبل ؟ !

غيث : تذهب معى من أجل الثورة .

عمار : لكننى أريد أن أبقى فى بيتى لا أريد أن أذهب الى الثورة .

غيث : أن الثورة سوف تأتيك حتى ولو لم تذهب اليها .. سوف تقتحم عليك باب بيتك .

عمار : لقد كنت ثائرا فيما مضى ، والآن لقد اصبحت شيخا ، لا أستطيع أن أعيش عمرى كله وأنا ثائر .. أريد أن أبقى فى بيتى .

غيث : لكن متى كنت ثائرا .

عمار : منذ زمن بعيد (وهو يتفحصه) يوم كنت فى مثل سنك .

غيث : وهل تقاس الثورة عند حدود سن معينة .

عمار : (فى شىء من التأمل) هــذا يتــوقف على قابليــة الاشخــاص الــذين يمارسونها ، فهنالك من يعيش عمره كله ثائرا وهنالك من يثور فيما بعد وثمة اناس ينقطعون عن مزاولة الثورة فى منتصف الطريق .

غيث : وأين تضع نفسك من بين هذه الاصناف .

عمار : لا أعرف .

غيث : حسنا كيف انقطعت أنت عن الثورة .

عمار : انقطعت بسبب زوجتى وأطفالى وبسبب بعض النعاج أيضا .

غيث : وماذا حدث للجماعة الذين معك ·

عمار : (فى شرود) أية جماعة ·

غيث : جماعة الثوار ·

عمار : لم تكن معى جماعة ·

غيث : (ضاحكا) اذا كيف تدعى انك ثائر ، لعلك كنت ناسكا ·

عمار : (فى بلاهة) لم أكن ناسكا ·

غيث : لا يمكن أن يوجد ثائر بمفرده ·· الثائر لا يوجد الا ضمن جماعة ، ثم انه لا يتخلى أبدا عن قضيته ··

عمار : كان ذلك فيما مضى ، أما الآن فقد قلت لك أننى أصبحت شيخا ، أريد أن أبقى فى بيتى من سيرعى النعاج ·

غيث : حتى ولو أصبحت شيخا وتريد أن تبقى فى بيتك وترعى النعاج ، ما دام الجماعة الذين تعيش ضمنهم ثوارا الآن فليس بامكانك الا أن تصبح ثائرا مثلهم ·

عمار : قلت لك أننى قد تخليت عن كل شىء ·

غيث : لكنه بامكانك أن تبدأ كل شىء من جديد ·

عمار : لقد عشت كل هذا العمر وأنا لا أعرف شيئا ولا أريد الآن أن أتعلم شيئا ثم أننى لا أحب أن أقوم بعمل أنا لا أريد القيام به ·

غيث : لكنك تعرف كيف تصنع المتفجرات ·

عمار : تلك مسألة أخرى ·

غيث : بل هى المسألة نفسها التى من أجلها ندعوك للالتحاق معنا بالجبل ·

عمار : انكم تقودوننى الى الموت ·

غيث : دعنا من الحديث عن أمر الموت ·

عمار : (وهو ينظر فى عينى غيث) لكننى سأواجه الموت ·

غيث : انك ستحمل السلاح معنا ، ألم تقل انك كنت ثائرا فيما مضى ·

عمار : اذا حملت السلاح فاننى سأواجه سلاحا مقابلا ·· اننى بحملى للسلاح أدعو الآخر الى مقاتلتى ، وأنا لا أريد أن أكون قاتلا ولا مقتولا ·

غيث : لكن الآخر يتربص بك وسيقتلك حتى ولو لم تحمل السلاح ·

عمار : لكننى سأتعجل قتلى اذا ما رفعت السلاح فى وجهه ·

غيث : انه بدأ يقاتلك من قبل أن ترفع فى وجهه السلاح ·· ليس بامكانه ان يحيا دون أن يشرب من دمائك ، ولقد وجدها رخيصة بلا ثمن فاستلذها ·· انه يحرث الارض ويحصدها بينما تكتفى أنت صاحب الارض الحقيقى بالنظر اليه ·· وتتردد بعد ذلك فى أ نترفع السلاح فى وجه قاتلك ·· أنت ميت منذ البدء فلا أقل من أن تقتل ثم تموت ·

عمار : اننى بحملى للسلاح استعجل موتى ···

غيث : الموت ، الموت ·· دائما تتكلم عن الموت ، اذا كنت ثائرا حقيقيا تدافع من أجل تحقيق الحرية والعدل فى وطنك ومت بعد ذلك فانك بموتك تشرى الحياة وتزيدها عمقا وصلابة ·· الثائر الحقيقى لا يموت ففى موتــه تجـديد للحيـاة ·

عمار : اعلم أن الثائر يموت شهيدا كما فى الآية الشريفة (يبحث عنها ولكنه لا يجدها) الآية ··· غابت عنى الآن ··

غيث : (فى ضيق) أنا لم أقل شهيدا أو غير ذلك ·· ماذا تعنى كلمة شهيد هــذه ·

عمار : (وقد اعتدل فى جلسته) تعنى يا بنى الآية ·· آه ولا تظن من يموت فى سبيل الله ميتــا بــل حــى فى الجنــة ، صدق الله العظيم ·· نسيت الآن الآية لكن معناها أن الذى يقتل من طرف الكفار يدخل الجنة التى فيها انهار من عسل وفيها حور العين ·

غيث : (ضاحكا) حور العين ، ألم تقل أن لك زوجة ·

عمار : لا تحاول أن تهزأ بى يا غيث يا بنى ·

غيث : وما هذا الكلام ، شهيد ، كفار ، حور عين ، جنــة ، جهنم أنا لا أفهم هذا الكلام ·

عمار : (فى لهجة نصوح) لا تكفر يا بنى ·

غيث : أنا لا أعلم شيئا من هذا ، كل ما أعلمه أننى أضحى ، أهب حياتى لكى يعيش أولادى من بعدى أحرارا سعداء ·· ففى العيش الحـر الذى سيحيـاه أولادى من بعدى بعث جديد لى وتجديد لحياتى ·

عمار : الذى أعلمه أن الذى يقتل من طرف الكفار يمـوت شهيــدا ويدخــل الجنة ·· لقد نسيت الآن الآية ···

غيث : أنت اذن تريد أن تموت شهيدا حتى تدخل الجنة ·

عمار : لا أحد يعرف كيف سيموت ·

غيث : انك تخاف من الموت ٠

عمار : لست خائفا من الموت ٠

غيث : بلى انت خائف من الموت ٠

عمار : لا أنا خائف من الخسارة التي يمكن ان تلحق بالانسان ٠

غيث : أية خسارة تتحدث عنها ٠٠ وماذا تملك انت ٠٠ تملك أربع نعاج ٠

عمار : انه ملك على كل حال ٠

غيث : لكن اذا ما فقدت هذا الملك فان ذلك لا يشكل خسارة بالمعنى الذى تتصوره ٠

عمار : ليست هذه هى المشكلة ٠٠ المشكلة : اذا خسرت نعاجى الآن فسأعيش أمنى نفسى بتعويض النعاج التى خسرتها ٠٠ اما اذا حملت السلاح وخسرت حياتى ، فمن سيعوض لى حياتى ؟!٠

غيث : (ساخرا) حياتك ٠ حياتى ٠٠ حياتهم ٠٠ اننى ليعرونى الخجل من هذه الحياة التى نحياها جميعا ، وتحياها أنت من أجل أربع نعاج ٠

عمار : ومن أجل ماذا تريدنى أن أحيا اذن ؟ !

غيث : من أجل الثورة حتى لا نعيش كلنا قطيع نعاج ٠

عمار : (وهو يكشف عن موضع الجرح فى رجله فيبدو قطيعا وأليما) هذه الثورة انها تسلخ جلودنا مثل النعاج ٠

غيث : (يفتح عينيه فى موضع الجرح ٠٠ ثم فجأة) لا يا عم عمار الثورة لا تسلخ جلودنا ٠٠٠ فهذا الجرح سوف يضمد ويبرأ وانما الجرح الذى لا يبرأ هو أرضك المغتصبة ، زيتونك ، قمحك ، حريتك ٠٠ المنتزعة هى الجرح الذى لا يبرأ يا عم عمار ٠٠٠

[فجأة ينبثق من أقاصى الجبل عواء ذئب ثلاثا ٠٠ يتسمر غيث فى مكانه وتظهر على وجهه الفرحة ويتطلع نحو الجبل ثم يقترب من عم عمار ، ويكاد يدفعه فى كتفه] ٠

غيث : هل سمعت ٠٠ سمعت ٠

عمار : (فى دهشة) ماذا ؟ !

غيث : هذا أحد الجماعة قد أقبل نحونا ٠٠ هل سمعته ٠

عمار : لا ٠٠ لم أسمع شيئا ٠

غيث : ألم تسمع العواء ٠

عمار : عواء الذئب ٠

غيث : لا انها اشارة من أحد الجماعة ٠٠ انه قريب من هذه الجهة ٠٠ يجب أن نرد له الجواب ٠ (يلتقط حجرا ثم يتسلق الصخرة ، ويجعل يقرع الحجر بالصخر ٠٠ ضربتان فضربة ، ثلاث مرات ٠٠ ينزل بعد ذلك عن الصخرة) ٠

عمار : ماذا هنالك ٠

غيث : أحد الثوار قريب من هذه الجهة ٠

عمار : كيف عرفت ٠

غيث : ألم تسمع العواء تلك هي الاشارة بيننا ٠

[فجأة يطل من خلف الصخرة وفى ضوء الشفق تماما ثائر شاب يحمل السلاح] ٠

الثائر : (هاتفا) غيث أهذا أنت من معك ٠

غيث : (ملتفتا) آه ٠٠ صلاح أهلا بك ٠

صلاح : (يقفز من فوق الصخرة) ماذا تفعل هنا ٠

غيث : وما الذى جاء بك أنت (يتعانقان) ٠

صلاح : أهـلا ٠

غيث : أهلا بك (يتعانقان) ٠

صلاح : من معك ٠

غيث : أقدم لك صانع المتفجرات ٠

صلاح : هل أتيت به معك ٠

غيث : أتيت به معى بعد أن خضنا معركة كبيرة ونجونا بأعجوبة لكن عم عمار جرح فى رجله ، فوقفنا هنا قليلا كى يضمد جرحه ٠

صلاح : اذن هو مجروح (يتقدم من عمار ويصافحه) مرحبا بك ٠

عمار : أهلا وسهلا ٠

صلاح : كيف حالك ٠

عمار : لا بأس ٠

صلاح : أرنى هذا الجرح ٠٠ هل هو جرح خطير ٠

عمار : لا ليس بالجرح الخطير ٠

صلاح : (ملتفتا الى غيث) كيف حدث ذلك ٠

غيث : كانت دورية حراسة ٠٠ تصادمنا معها ، وربما كنت أصبت واحدا منهم ٠

عمار : لم أكن قد شعرت بالجرح منذ اللحظة الاولى ثم شعرت به فيما بعد ٠

صلاح : (وهو يتأمله) صحيح ٠٠ قلما يشعر الانسان بالجرح من الوهلة الاولى ٠٠ الا بعد انتهاء مدة معينة ٠٠٠

عمار : فى بعض الاحيان تمر مدة لا بأس بها على وقوع الاصابة ومع ذلك لا يشعر الانسان بها ولكنه يرى الدم مثلا ٠٠٠

صلاح : نعم ٠٠ وربما جعل يفتش عن موضع الاصابة ٠

عمار : (كأنه حكيم) ان الذين جرحوا كثيرا فى حياتهم يعرفون هذه الحالات أكثر من غيرهم ٠

غيث : (مغيرا مجرى الحديث) أتراك أنت الذى أرسلت الاشارة يا صلاح ٠

صلاح : نعم أنا ٠

غيث : ولمن ارسلتها عمن تبحث ٠

صلاح : كنت أبحث عن سليم فقد نزلت معه لحمل بعض المؤونة ٠٠ لكنه لم يحضر فقلت فى نفسى انه ربما اضاع المكان فارسلت الاشارة ولما سمعت جوابك ظننتك سليم ٠

غيث : وكيف تفارقتما ٠

صلاح : قلنا حتى لا نثير الشبهات من حولنا فتفارقنا واتفقنا ان نلتقى فى مكان كنا عيناه من قبل لكنه لم يأت حتى الآن ٠

غيث : لعله قادم فى الطريق الآن ٠

صلاح : أرجو أن يكون كذلك (ملتفتا الى البعيد) والآن اسمحوا لى يجب ان أعود الى ملاقاة سليم ٠٠ هل تحتاجون الى اعانة ٠

غيث : شكرا لا نحتاج الى شىء ٠

صلاح : اذا أقول لكم الى الملتقى (متوجها الى عمار) هل تشعر بالتعب أيها العم ٠

عمار : لا أبدا شكرا ، اننى فى صحة جيدة ٠

صلاح : اذن الى الملتقى قريبا ٠

عمار : مع السلامة فى امان الله ٠

صلاح : الى اللقاء ٠

غيث : الى اللقاء اذا وصلت قبلنا الى الجماعة فاخبرهم انني في طـريقي اليهم أنا وصانع المتفجرات .

صلاح : وماذا أنتم تنتظرون ، هيا اسرعوا بالذهاب قبل ان يداهمكم الخطر .

غيث : لقد توقفنا بسبب هذا الجرح الذى أصاب عم عمار .

صلاح : حسنا الى اللقاء .

غيث : الى اللقاء .

عمار : مع السلامة .

[يختفى صلاح وراء الصخرة بينما يظل غيث وعمار يرقبانه وتمر فترة صمت] .

عمار : (ملتفتا فجأة وهو يشير بيده) انظر ، الا ترى الى ذلك الشيء الذى يتحرك عن بعد .

غيث : (يتطلع الى حيث اشار عمار ما من شك في انه شبـح انسـان قـادم الى هنا) .

عمار : ماذا سنفعل .

غيث : (وهو يحمل اشياء) سنواصل الطريق .

عمار : يجب ان نعرف من يكون هذا القادم اولا .

غيث : لعله سليم .

عمار : لكن ليس في هيئته ما يدل على أنه ثائر لباسه ليس لباس الثوار .

غيث : (متطلعا) صحيح ، انه ليس بسليم .

عمار : لكن من تراه يكون .

غيث : لعله أحد الجواسيس .

عمار : اذا كان الامر كذلك يجب ان نضلله (باحثا حوله) هلم بنا نختف وراء هذه الصخرة .

غيث : اذا بدا من هيئته انه جاسوس حقا فلسوف اطلق عليه النار وارديـه قتيـلا .

عمار : لا تقتل احدا يا بني خذها نصيحة مني .

غيث : ان الذى يستحق الموت يجب ان يموت .

عمار : لا يوجد بين البشر من يستحق الموت حقيقة .

غيث : ان الذى يقف ضد الثورة يستحق كل عقاب .

عمار : العقاب شيء آخر إنه يختلف كل الاختلاف عن الموت .

غيث : هلم نختف وراء هذه الصخرة ، هيا بنا .. هيا .

عمار : حسنا .. هلم نختف .

(يتبـع) ح. ن.

بانوراما *

شعر : الطاهر الهمامي

1. — جسر

زَلْـزِلِي يَـا أرْضُ
وانْهَـارِي يَـا مُـدُنْ
أطْلِقِـي سَرَاحَ الاطفَـالْ
قِفْ يَـا زَمَـانْ قِفْ يَـا زَمَنْ
يَـا الْوَاقِـعَ الْمُغْتَـال
سَأكْتُبُ قَصِيدَه
قَصِيدَةً جَدِيدَه
أتَحَدَّى بِهَا الحُـدُودْ
وأعَـانِقْ بِهَـا الاجْيَـالْ

2. — زرقـة

كَصَفْحَةِ مَـاء
كَسَمَـاء
كَنَسْتَهْـا الرّيحْ
وَهَجَرَتْ رِحَابَهَـا الظّلْمَـاء
وكَمَـا هَمَـى
مَطَـر وَهَبَّ هَـوَاء

(*) مشهد فوقي لمدينة أوبلد مـا ...

قَلْبِي الَّذِي يَنْبُضُ يَنْبُضْ
وَيَــرْفُـضْ
أنْ يُصْبِحَ يَـوْمـا مَـا
حَجَـرَة صَمَّـاء
أو قَصِيدَة عَصْمَـاء
أوْ كَلبَـة سَوْدَاء
أوْ قِطَّة أصَـابَهَـا العَمَـاء
فَهْيَ تَـرْكُضْ
تَمُـوءُ مُـوَاء
أوْ حِــذَاء
أوْ مِسْمَـارا في أقْدَامِ الفُقَـرَاء
أوْ زَهْـرَة تُعْرَضْ
تُعْرَضُ للسُّوَّاح الكُـرَمَـاء

3. ــ بيــاض أسـود
زَقْزَقَةُ الكِـلاَبِ وَمُوَاءُ الحَجَـرِ
مَـا يُرَى بالسَّمْعِ وَمَا يُسْمَعُ بالبَصَرِ
يَـا عصْرَنَـا الذَّرِّي
وَيَـا وَاقِعَنَـا الحَجَـرِي


*

تَـكَسَّرَ وَجْهِي
وانهَـزَمَ لِسَـانِي
وأجْبِـرْتُ
عَلَى الغَـرَق
وَعَلَى تَدْمِيرِ عَيْنَيَّ بِالوَرَقِ .

(*) ما وجدته مرسوما بقلم رصاص على أحد الجدران .

زَقْـزَقَةُ الـكِـلابْ
وصهيـل العـصـافيرِ مِنَ الضَّجَـرِ .

4. ــ سـوق بـطـــالــه

هَبَّتِ الـرِّيـحْ
فَتَغَبَّرَتْ مِنْهُمُ الافْـوَاهَ وَالانُـوفْ
وَهُـمْ وقُـوفْ
هَبَّتِ الـرِّيـحُ بَـارِدَه
وَعَـاتِيَـه
لـَكِنَّ هَـذَا الفَيْلَسُوفْ
شَـدَّهُـمْ
وَهَـدَّهُـمْ
بِسِحْـرِ الْـكَـلِمَـاتِ والحُرُوفْ
هَبَّتِ الـرِّيـحُ نَـاسِفَـه
وَعَـاصِفَـه
صَبَّتِ النَّـوْءَ
سَـكْسَكَ الْمَـاء
غمَـرَ الارْجُلَ وَصَعِدَ وارْتَمَى
مَشَى زَمَنَ وَجَـاءَ زمَنْ
مَـرَّ قِطَـارُ القَـلْعَةِ الْجَـرْدَاء
طَـارَتْ منه نَـافِـذَه
نَفَـذَتْ إلى السَّمَـاء

5، ــ مـظـــاهـرة

ــ سأعَـرِّي عَلَيْهِ نَفْسِي
ــ سألْبَسُ حَقَـائِقِـي

– سأريه روائع نفسي
– سأجبره على الرؤية
– سأدمغه بشمسي
– سأهرب إلى الدار
– سأغسل رأسي
– الريح اشتدت
– وكثر الغبار
– سأذهب أرتاح
– أشعر بالبرد
– أحس بالماء
– وبالارض تنهار

6. – جنازة حصان (•)

رأيته يقطر يقطر
يقطر دما
وألما
منهزما
رأيته
يحط قدما
ويرفع قدما
رأيته
منعزلاً
يتأوه

(•) « الحصان الامريكى » – الفكر ديسمبر 1970 .

يَتَمَــرّغُ
يَـئِـــنّ
يَـئِـــنّ
يَـئِـــنْ
رأيْتُـــهُ
يَجِفّ يَجِفّ يَشْرَبُهُ الوَهَنْ
يَـرْتَعِـدُ يَـرْتَعِـدْ
يَنْـزِلُ يَهْبِطُ يَهْوِي
يَنْهَـــارْ
يَتَدَحْرَجُ حَتّى القَـــاعْ
يَصْطَكّ ،
يَخْرُجُ لِسَانُهُ
يَبْتَلِعُهُ الزّمَنْ
فِي وَضَحِ اللّيْـــلْ

ط . ه .

تونس / ديسمبر 1970

كلمات منثورة

بقلم : البشير المجدوب

◆ مسكينة الأرض !

كانت طاهرة عذراء تمرح مع « الانسان » فى غرارة الصبا وأى صبا ! لقد دام دهورا ، آلاف السنين ثم جاء جيل من المردة ذوى نزق وشبق فتصدوا لها يتعاورونها نزوا عليها ويقتتلون شأن الفحول المغتلمة خدشا لها وعضا وعبثا جنونيا بأطايبها ؛ فعرفت لأول مرة فى عمرها المديد الحب الفاجر واللذة الخبيثة يفتن أصحابها فى تلوينها وتضخيمها نهما بالجنس لا يشبع ولا يرتوى وإذا هى البغى قد ذوى شبابها وشيكا وتسمم جسدها الناضر الفتى عدوى من حرفائها الأنجاس تفور صنة ولخنا وهم مع ذلك لا يزالون يرهقونها ضما ولزا رجاة المتعة الزائدة المتجددة . عمى لم يشعروا بعد أن الذى بين أيديهم ، مسخ عفن ، جثة زخمة تلفظ أنفاسها الأخيرة .

* * *

◆ صباح جديد ... لذة كنشوة الاكتشاف لا يدانيها سوى الفرح بعد الغم والأمن بعد الخوف واليقين بعد الحيرة والشك !

* * *

◆ لئن صح القول بالتناسخ فان غاندى هو المسيح ... روح المسيح تقمص جسد محام هندى فأنزل نظريته فى المحبة من سماء المثل إلى دنيا العقل والفعل وجعل منها عقيدة سياسية ... خطة عملية زحزح بها عن بلاده بمجرد الرفق واللين أقوى سلطة استعمارية عرفها التاريخ .

* * *

◆ الصلاة « تمرين ما ورائى » يعتقك مدة لحظات من ربقة الأرض ويدمجك فى الكون حتى تنفذ إلى صميمه وقد يسمو بك إلى قمة

الوجود فتدرك منزلتك الصحيحة فيه ·
الصلاة وسيلة من وسائل « حفظ صحة » الروح ·

* * *

◆ محو لوح الأمس !
لعل سر التوازن فى الحياة الزوجية أن ينظر إلى الحياة فى كل يوم على أنها صفحة جديدة بكر ؟

* * *

◆ بعض التوجيه غصب للضمائر وتشويه ·

* * *

◆ ما أعسر الزهد فى الفن ! شهوة الكاتب إلى إطراء أثره ، وإن أنكر وتذمم وتمنع وتعفف ، لهى أشبه برغبة الحسناء فى النسيب ·

* * *

◆ من مكر الطبيعة أن جعلت الشهوة سابقة القدرة متخلفة عنها ·

* * *

◆ كأنى بحكمة الأنبياء سهم عرد يصل رأسا إلى الحقيقة · وكأن معرفة العلماء سلحفاة لا تنى تجهد نحو عقبة كأداء ·
ما أدركه الأنبياء والحكماء بالقلب فى لمحات وومضات كلف العلماء جهد السنين والقرون ولما ينته المطاف !
القلب نسر خفاق يشق أجواز الفضاء سبحا · والعقل ذبابة أسيرة تتخبط فى قفص من زجاج ·

* * *

◆ قال العاقل : « بخستنى ··· ظلمتنى يا الله ، جعلت حظى منك كحظ الأغبياء والسوقة والرعاع جهلا بسرك ،وقصوروا عن إدراكك ! » ·

* * *

◆ قد ينظر إلى الشعر من جهتين : الحدة والطراوة أو الدقة والنضج· من الشعراء من هم أحد شعورا وأعنف وأغض إحساسا وأندى · ومنهم فئة أدق حسا وألطف وأوسع فكرا وأعمق · وثمة نخبة ممتازة فالشاعر الشاعر من جمع فاستوعب وكان له الشعر كله !

وقد تنبه القدامى (1) إلى هذه الظاهرة فذهبوا إلى تصنيف الشعراء إلى «بدائى» مطبوع وإلى مثقف مصنوع ؛ على أن كل بدائى مصنوع إلى حد ما ، وكل « متكلف » (2) مطبوع وإلا فلا شعر ولا فن ·

* * *

- كأنى بالقريحة « غدة » تفرز الخواطر إذا ثارت « شاهية » الكاتب فترشح أو تدر وتصفو وتكدر على حسب الحال ·

* * *

- كيمياء الزمن ! عجبا منه كيف يسلى فيضفى على الكثير من مصائبنا مسحة من البشاشة والأنس والقبول فنهفو إليها تعطفا وحنينا وقد صفت نفوسنا ـ أو كادت ـ من أكدارها وأوصابها ·

* * *

- ثمة حرمان وحرمان ·

من منا ـ مهما يكن صلبا جافيا ، مشبعا بذاته منطويا ـ لم يعرف فى بعض وحدته لذع الحاجة وذل السؤال فكأنى بنفسه تهتف ضارعة تستغيث : « الأنس ··· الأنس ··· » ·

* * *

- الانسان « ممثل » بالطبع · يمثل لنفسه ويمثل لغيره إن عفوا أو تعمدا · فيه غريزة من الزيف والدجل يعجزه التجرد والخلوص حتى انه ليرغب فى النظارة فى أخطر حالاته وأقدس مواقفه ·

* * *

- ما من خصلة من الخصال المحمودة إلا ولها وجهان · حسب مصدرها إن ضعفا أو قوة · وهكذا فرب شفقة هى وليدة الاشفاق على الذات (1) والرفق بها · ورب عفة مبعثها خمود الاحساس وكسل الغريزة · ورب شجاعة ناشئة من فرط الخوف وطغيانه ·

* * *

- الخلق نزف خفى وموت بطىء ·

---

(1) الشعر والشعراء ـ العمدة ·

(2) نفس المصدر ·

(1) أعنى : أننا نريد ـ بصفة واعية أو لا واعية ـ أن نجنب غيرنا (وعلى الأخص من نحب) الأذى **لكى لا نتألم لأذاهم** ·

جريمة قتل

قصة بقلم : أحمد القديدى

لأنه يعلم أن الاناقة سر من أسرار تأثيره فى حلقات أصدقائه ، لانه يعلم أن بدلاته الثمانية التى انتقى قماشها الانقليزى بنفسه تشكل مصدر أهتمام « أنيسه » و « لطيفة » و « ألفه » به • لانه يعلم أن دخول النزل الفخمة رهين الهندام اللائق • انتقى بدلته التاسعة ، ، وأشترى لها قميصا أزرق مزركش الصدر ، رفيع النوع ، مستوردا من فرنسا ، وأشترى أيضاالكرافاتوالبوشيت والحذاء الكستنائى المتشابك الجلد • هو لا يخطىء فى تقدير شؤون المجتمع وفى خبرة أمور الحياة العصرية ، يؤمن أن المظهر شىء حتمى لغزو المستقبل•

كان فى مطلع هذا المساء البارد يحث الخطى نحو النادى ، يتصور فى ذهنه ما سيقوله اجابة عن أسئلة الحاضرين والحاضرات • أعد فى خياله أجوبة راشقة • للمواضيع التى سوف يطرحها أعضاء النادى والمدعوون • قال وهو يخترق شارع السرول لنفسه :

ـ اذا ما ألقى على سؤال حول الدافع لكتابة دراساتى حول الاشتراكية الطوباوية فسأجيب بأننى أجد فيها عناصر توازن الحضارة بين المادة والروح ••• وهى على كل ينبوع التفكير المعاصر • واذا ما سئلت عن التزامى لقضايا الفقراء فسأقول بلهجة فيها نبوة ونخوة بأننى من عائلة كادحة ••• واذا ••• وسأقرأ على الحاضرين فقرات من مقالى السياسى حول كمبوديا وحق شعب شرقى آسيا فى الحياة وفقرات من دراستى حول سوسيولوجية التسول

كان رشاد يؤمن ايمانا عميقا بمبادئه ، وربما داعبه بعض أصدقائه فلاموه عن تناقض واضح بين تفكيره وبين سلوكه • وكان رشاد يعتقد أيضا أن القضية تتعلق بهياكل المجتمع وبتجاوزه هو كفرد •

وصل الى النادى ، ووزع ابتساماته العريضة على أصدقائه من مفكرين ومثقفين وطلبة ، وأخذ مكانه فى الصدارة أمام الاضواء وأمام الميكرو • ثبتت فيه الانظار، حيى من الجالسين تجاهه بعض من يعرف وبعض المحبين لدراساته وبعض الطلبة الذين يعرفون ولا شك أفكاره ويقدرونها •

رحب به مقدم الندوة فقال ان النادى يستقبل هذا اليوم مفكرا اتجه ببحوثه العميقة لتحليل التيارات الاشتراكية ٠٠ وقال ان رشاد يتسم بسلامة خطـه العقائدى ونظافة أعماله ٠ كما قال أنه آبن الشعب ٠ وصفق الحاضرون طويلا ورشاد يفتعل الاحتشام والتواضع ٠ طالما حلم بهذه المناسبـات التى تكـون عرفانا لنضاله الفكرى ، وطالما عمل على تنمية شعبيته فى كل الاوساط لينال المكانة المرموقة ويستطيع أن يؤدى واجبا نحو المظلومين والبؤساء ٠

شارك فى الندوة رجال معروفون ، أثنوا على رشاد وعلى كتابه الجديد « على طريق الحرية والعدل » قال أحدهم (ان هذا الرجل دعامة من دعامات الفلسفة الحديثة ومصدر أفتخار لابناء وطنه) ٠ ظلت الاضواء وفلاشات المصورين تبرز ملامح رشاد وأبتسامته المعبرة وحركات يديه العصبيتين ونظراته الزائغة ٠

كانت الندوة شبيهة بحلبة الصراع ، خرج منها رشاد بنشوة المنتصرين ، خرج بين التصفيق والهتاف وكلمات الاستحسان ٠٠ وكانت الكلمة الاخيرة التى أوصد بها باب الندوة هى « المجد للشعب الكادح ٠٠٠ » كان لها تأثيرها فى أصدقائه ٠ وأنطفأت أضواء النادى وسلمه الجمهور الغفير للطريق الخالية ٠٠٠ فتسمع الى وقع أقدامه على برد الرصيف وكانت المدينة خلاء ٠

لاشيء فى شوارع المدينة سوى أصوات السكارى وهم يغنون أشلاء أغنيات زائفة المعانى ، ومواء القطط الضالة ولا شيء سـوى أشبـاح بعض النسـاء المتسكعات ليلا وبعض الاطفال المشردين ٠٠ رآهم رشاد كأن لم يرهم ، فزاد فى سرعة سيره ورفع ياقة معطفه لانه شعر بالبرد ٠ وأخذ فى هدوء الشارع الاخرس يفكر فى رحلته القادمة الى مدينة مونيخ حيث سيشارك فى مؤتمـر حول النهضة الفكرية فى بلدان العالم الثالث تنظمه منظمة دولية ٠ بدأ وهـو فى الشارع يرسم الخطوط الكبرى لمساهمته وتدخلاته ٠ قال بينه وبين نفسه « لا بد من الالحاح على ضرورة حرية التعبير ونزول المثقف الى مستوى الابلاغ الشعبى لكى يتم الحوار والتواجد ٠٠ » ٠

اقترب من رشاد رجل شيخ ومد يده قائلا فى تضرع :

ــ يا كريـم متـاع ربى

ــ همهـم رشاد وهـو يسرع :

ــ الله ينوب يا بابا ٠٠٠ الله ينوب ٠

وعاد لمونيخ بخياله ... فكر فى كل شىء ... حتى فى بدلة السفر وطريقة دخوله على المؤتمرين . هذه المناسبات تمكنه ولا شك من الاصداع برأيه ، وتحقيق حمله الكبير : خدمة قضايا أمته والامم المناضلة الاخرى .

شاهد أمرأة هيفاء تقف على الرصيف ، تحدق فيه باصرار ... سمعها تكلمه . تطلب منه عود ثقاب لتشعل لفافة تبغ . هو يعرف جيدا هذا الصنف الذى يجلب المصائب وفرقة حماية الاخلاق والفضائح . يتجنبهن دائما . واصل رشاد سيره . فكر فى النساء اللواتى يميل لهن ميلا شديدا . أنيسة . لطيفة . ألفة . هن من رواد النادى ، ومثقفات ، وتقدميات ، ويحلمن مثله بالمدن الفاضلة . يعشن ليلهن مثله فى المقهى الفاخر ... المقهى الاكواريوم كما كان يسميه . هن موظفات أو طالبات أو الاثنان معا .

أحس بيد خشنة تضغط على كتفه ، فألتفت ليجد نفس الرجل الشيخ المتسول .

ــ حويجة لله ...

كان فى صوته هذه المرة شىء من المطالبة بالحق ومن العنف .. مما أثار رشاد الذى نزع عن كتفه اليد اليابسة المحروقة :

ــ قلت لك الله ينوب يا بابا .

وتأكد رشاد أن المتسول تبعه عن قصد ، وسار خلفه منذ بداية الشارع ليزعجه . قال لنفسه : (لست ملكا لاكون آخر من يأكل وآخر من ينام ... أنا أعمل وأناضل من أجل هؤلاء ويجب أن أعيش فى كفاف . هل ظن هذا الرجل الجائع أنى من الذين يسرقون ماله ويحرمونه كسرة خبز ... أنا أقرب منه وألصق به ... بل أنا أعيش فى سبيله وفى سبيل اسعاده .)

تحدث رشاد لنفسه بهذا الحديث وأحس بنعمة الرضى على سلامة تفكيره ورصانة منطقه . فهو طالما أستعمل هذه الجدلية ليعيش خارج الصراع وعلى هامش الحلبة الدامية . وطالما أحس بالفرحة حينما يتقن دور النبى المنتظر على حساب هذا وأمثاله من المعدمين .

الشارع بارد ... لعل مونيخ أيضا شديدة البرد ... سوف أرتدى

معطفى الرمادى وأتدثر . كانت أمى تدثرنى فى شتاء قريتنا الصعب .. فى الحقيقة لم أكن أشعر بوخز البرد رغم حفاء القدمين . وقريتنا النائية .. منذ سنوات لم أزرها . أكلتنى المدينة وأدمت قدمى شوارع الاسفلت وارصفة الاسمنت . وأمى التى ماتت وهى بدوية .. ماتت بكل بداوتها ولم ترنى فى ضجيج هذا العالم ... لم ترنى وأنا أوقع كتبى لاصدقائى بزهو وافتخار لم تشهدنى بين بنات الذوات والعائلات فى المقهى الاكواريوم ، نتحادث حول الفيتنام واتحاد الكتاب والشيلى والهيكلية .)

سمع مواء قطة جائعة ... وأسرع فى خطاه ... كان قد أخترق الشارع بأكمله . وصل باب بيته وأخرج المفتاح من جيبه وقبل أن يولجه فى موضعه ، أحس بنفس اليدين الفظتين الغليظتين ، توضعان على صدره الأنيق ، أراد أن يقول شيئا لهذا الرجل الشيخ ... لكن اليدين تسلقتا فى عنف الى العنق.. وأمتقع وجه رشاد الذى قبض بأصابعه الناعمة على يدى المتسول محاولا التخلص من المأزق . تلوث القميص وربطة العنق وصدرية البدلة بوسخ اليدين القويتين . وصلت الاصابع الحجرية الصلدة الى الحنجرة ... وشرعت تضغط فى نقمة ، وسقط مفتاح البيت على التراب وأسرع الى مكان الجريمة عون من أعوان الشرطة ... جاء بعد أن فات أوان الانقاذ . جاء ليكون أول شاهد على الجريمة . ووقف بين الضحية الملقاة على الارض والقاتل الشيخ الذى وقف بلا مبالاة ينفض يديه .

عبر المحاكم :
متسكع يرتكب جريمة قتل ذهب ضحيتها الاستاذ رشاد .

كان ذلك فى ساعة متأخرة من مساء يوم ...... حينما كان الاستاذ رشاد وهو من المثقفين المعروفين عائدا الى محل سكناه الواقع فى ..... واذا برجل صعلوك ... الخ ... الخ .. الخ ..

ورقة وجدت فى جيب الهالك كتب عليها ما يلى :

لا يمكن أن يعيش أحدنا خارج الصراع الدموى ... ولو أنغلق فى دوامة الزيف والزخرف . فنحن فى حلبة واحدة شئنا أم كرهنا .

أحمد القديدى

جانفى 1971

بناءات

شعر : محمد الحبيب الزناد

— 1 —

وَإذْ كُنْتِ مُغْرَمَةً بِتَعْذِيبِي
مُفْعَمَةً بِالحِقْدِ عَلَيَّ
مُلْهَمَةً قَتْلِي
سَأُغَنِّيكِ يَا آخِرَ الدُّنْيَا
وَأُفْنِيكِ فِي عِشْقِي
وَأَبْنِيكِ كَالوَشْمِ فِي عِرْقِي
أَبْنِيكِ أَبْنِيكِ
يَا آلَةَ هَدْمِي وَتَخْرِيبِي
وَيَا أَدَاةَ مَحْقِي !!

— 2 —

لَنْ أَفْرَغَ مِنْكِ
فَأَنْتِ مُشْكِلَتِي
كَالبَحْرِ مَالِحَةً وَذَاتَ أَعْمَاقْ
وَأَنَا الغَارِقْ
لَنْ أَفْرَغَ مِنْكِ
فَأَنْتِ مُنْزِلَتِي
— كَالصَّاعِقَةِ — مَنَازِلَ احْتِرَاقْ
وَأَنَا العَاشِقْ

لَــنْ أفْــرَغَ مِنْــك
فَأنْتِ مِقْصَلَتِــي
مَنْصُوبَــة فِيِ زَحْمَــةَ الاسْــوَاقْ
وَأنَــا المَشْنُــوقُ بِلاَ مَشَــانِــقْ
لَنْ أفْــرَغَ مِنْـك
فَـأنْتِ مُعَلّلتِــي
خَمْــرَةَ السِّحْــرِ وَالنِّفَــاق
وَأنَــا الشّــارِقْ !!

— 3 —

جَـابِهِينِــي بِالعُــدْوَان وَالإفْــك
لَنْ أفْــرَغَ مِنْــكِ
حَاصِرِينِــي وَانْــدَكّــي
لَـنْ أفْــرَغَ مِنْــك
بَـدّلِــي رُمُــوشَــك بِالحَاقِــد الشّــوْكَ
لَنْ أفْرَغَ مِنْـك
إمْزِجِــي حَـدِيـدَ عَيْنَيْــك بِالصّوَانِ والـزّنْـكِ
لَنْ أفْـرَغَ مِنْـك
إرْتَعِـدِي حَنَقَــا أزْرَقَ وَاصْطَـكّــي
لَنْ أفْــرَغَ مِنْــكِ
فَـأنَــا مَضْــرُوب فِيك
وَمَشْــدُودٌ إلَيْــكِ !!
قَـامَتْ الصّلاَةُ...
يَــا ألَمِــي !!
يَــا سَافِـكَــةً دَمِــي
تَـكَوّرِي حَجَــرًا صَلْــدًا وَ تَيَمّمِــي
فَــدَمِي حَــرَامٌ وَلا يُتَــوَضّأُ بِــدَمِــي !!
م٠ ح٠ ذ٠
تونس — جانفي — فيفري ١٩٦٧

المعالم

شعــر : سان جون بيرس

ترجمة : مصطفى القصري

ـ 2 ـ

نشرت مجلة الفكر في عددها السابق(*) القسم الاول من ترجمة قصيدة المعالم (Amers) للشاعر الفرنسي سان جون بيرس . وها هي تقدم للقراء القسم الثاني من هذه الترجمة آملة أن تستمر في نشرها إلى النهاية لاهمية قيمتها الادبية .

وقصيدة المعالم إشادة بوحدة الوجود وحوار يجري بين محب وبين يلعب فيه البحر دورا حاسما لما بين البحر والإنسان من أوجه الشبه كما نبه على ذلك الشاعر بودلير في قصيدته « الإنسان والبحر » وكذلك الشاعر فيكتور هيجو . . .

وليرجع القارىء إلى مقدمة العدد السابق من مجلتنا ليكون نظرة عن مغزى هذه القصيدة وأبعادها ومراميها ورموزها .

وقد حرص المترجم أول ما حرص في عمله على تقديم نص مطابق للنص الفرنسي في إيقاعاته وتفعيلاته واسترسالاته ونفسه الشعري باحثا في لغة العرب عن الوسائل البلاغية التى ستعملها الشاعر في شعره .

فالمترجم لم يترجم مثلا أسماء بعض الزهور بمقابلها العربي ، لان غرض الشاعر على ما فهمه المترجم لم يكن هو سرد هذه الزهور لمعانيها فقط . ولكن خصوصا للرنة الغنائية

(*) « الفكر » السنة 16 العدد 5 ، فيفري 1971 — ص 28 .

التي تحدثها في النفس على إنفراد ومجتمعة ، ولذا قام المترجم بالبحث عن أسماء زهور لها رنتها العربية وغنائيتها لكثرة ما صقلتها الالسن عن طريق الشعر العربي والكنايات العربية .

« أكاليل زهور وحبق ، خزامي وأقاحي وبنفسج » ولنأخذ كمثل آخر للطريقة التي استعملها المترجم في ترجمته هذه الجملة كما صاغها الشاعر :

« Comme un grand destin en marche sur les eaux »

وأي مصير يكون أعظم من الصورة التالية لهذا المصير ؟ : كما لو نودي بنبي ان اركب وقومك متن الامواج » وهي سورة مقتبسة كما ترى من سورة نوح .

وانظر إلى هذه الجملة التي يخاطب الشاعر فيها عشيقته فيقول :

« Tu es née marquée de l'étalon divin »

وجد المترجم نظيرها ملخصا في آية قرآنية ، وأصبحت ترجمة الجملة الشعرية كما يلي : « خَلَقَكَ رَبُّكَ فَسَوَّاكَ » سورة سبّح .

كما أن هذه الجملة الشعرية الاخرى

« Rouge doursin, les chambres du plaisir »

تحولت إلى العربيّة عن طريق إقتباس كلمة من حديث ينسب إلى الرسول جاء فيه :

« حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها »

فجاءت الترجمة كما يلي :

« كالتوتيا حجرات العسيلة حمراء » وهكذا جرت الترجمة أو جرى التعريب من غير تقيد أحيانا بالمفردات نفسها .

وقد نجد المترجم يترجم الجناس الذي يستعمله الشاعر في شعره بجناس عربي يناسبه ويطابقه دون أي إبتعاد عن المعنى المقصود مثلا « أفيونا فانيا : « pavot pâle »

« فيض وتفويض : « Submersion soumission »

ولنضرب مثلا آخر لهذه الطريقة في الترجمة : فكما أن المترجم إستعان في عمله بأسلوب القرآن والحديث والشعر العربي القديم فقد إستعان كذلك بما استعان به الشاعر نفسه من اقتباسات ، فالشاعر أتى بهذه الجملة الشعرية :

« Mes dents sont douces sous ta langue »

ولا يعزب على كل لبيب ما لهذه الجملة من الشبه بجملة نشيد الانشاد التي تقول في نصها الفرنسي :

« Tes yeux sont deux Colombes sous ton voile »

فأخذ المترجم الجملة المقدسة في نصها العربي وهي هكذا : عيناك يمامتان وراء نقابك وجعل منها :

« ثناياي عذاب تحت لسانك » ولنضرب أمثلة أخرى عن هذا الاسلوب من الترجمة سردا دون تعليق .

« La houle monte et se fait femme »

« الموجة تندفع صعدا فإذا هي مرأة تسعى » — قرآن : موسى —

« Licence alors aux jeux du corps »

« إذ ذاك نقول للجسد هيت لك » — قرآن : يوسف — .

— الفكر —

« الصَّيْفُ مُحرِقُ الصَّمْغِ واللّحَاء ، الصيفُ يَمزِجُ عَنبرَ المرأةِ بِعطرِ سُودِ الصَّنَوْبَر .

سُمرةُ المرأة وَنَمَشُ العنبرِ هما حقّا لَفحُ القَيْظِ وَلَهِيبُه : كذلكَ شأنُ الآلِهَة : أصابَهَا داء تَجهَلُه ، فتَحوّلتْ إلى لكْ مِن التِّبْرِ بِمِشدّاتِ خَصْرِ الغَواني . وأنتِ التي كَسَاكِ هذا اللّحَاءُ لَمْ تَعودي عَارِيَةً بعد : فَخَصْرُكِ مُحلّى بالذّهَب ، وَفَخذَاكِ مَلسَاوَانِ كَمَنْ دُجِّجَ بالسِّلاح ... حمداً لكَ حمداً أيُّها الجِسْمُ الرّفيعُ الذي سَتَرَهُ ضِياؤُه وضُرِبَتْ بِدارِ المُلْكِ سكّةُ ذَهَبِه !

مَن منكم يا قومُ لَمْ يُعَلِّلْ نفسَهُ بالكشفِ عَنْ هذهِ السَّبائكِ الذّهَبِيّةِ السَّمراء ، المَكسُوّةِ بِجِلْدِ الإيّلِ اللّدْن ، المُختزَنَةِ في قَعْرِ السُّفُنِ الرّاحلَةِ بِها نَحو قصورِ الامراء ، رِباطُها سُيُورُ القِنّبِ الخَشِن ، وَثاقُها حِبالٌ مِنْ مَسَد .

جِسمُكَ يا سِنْخَ الملوكِ يُنْضِحُ تَباشيرَ صَيفِ البَحْر : فَهُوَ بالاقمارِ مَنقُوط وَبِدَقاقِ الاقمَار ، وبِلَونِ الوحش مرقوط وبالكُمَيْت ، صَفَا كَدَقيقِ الذّهَب تَخلّلَ غَرابيلَ المُصَفِّين ، زُيِّنَ لُجَيْنًا وَقُنِصَ في الشَّبَكاتِ العَريضَةِ الوَضّاءَةِ المُسْبَكِرَّةِ في المَاءِ الوَضيء .

سِنْخُ مُلُوكٍ طَبَعَ اللهُ صُنْعَهُ بِخاتَمِه ! ... سَأكشِفُ مِنَ الْقَفَا إلى الإبْطِ فَمَهْبِطِ السّاقَيْن ، وَمِن الخصْرِ إلى الرُّكْبَةِ فَمَوْضِعِ الخَلخَالَيْن ، سأكشِفُ مُنْكَبَ الجَبِينِ عَنْ نَامُوسِ عَدَدِكِ في جَدْوَلِ مِيلادِكِ مِنْ بَيْنِ الرّمُوزِ التي تَجَمّعَتْ مَشيئَةً لِخَلْقِك ، كَما تَتَجَمّعُ نُجُومُ الفَلَكِ المُتَصاعِدَةُ

مِنَ النُّجُودِ البَحْرِيَّة ، لِتَرْتَقِيَ مَسَاءَ كُلَّ يَوْمٍ غَرْبا إلَى السَّمَاء ، قَرِيضا مُنْتَظِماً فِي سِلْكِ قَصِيدَةٍ عَصْمَاء .

آه ! كَأنَّكِ أُشْرِبْتِ دَماً مِنْ نَسْلِ المُلُوك ! فَاقِعٌ لَوْنُكِ كَجِسَادِ الكَاهِنَة ، أنتِ سَمْرَاء التَّوَرُّدُ كَلَوْنِ الشَّاصِيَةِ الوَرْدِي . خَلَقَكِ رَبُّكِ فَسَوَّاكِ ، وَعَلَى حَبَلاَتِ الكُرُومِ التِي أنْضَجَهَا بِسُطُوحِ الارضِ أعْلاَكِ ، شَهَادَةَ مِنْهُ عُلْوِيَّة بِفَضْلِكِ !

لَفَحَ الحُبُّ قَفَاكِ ، وَسَكَنَ حَرُّ الصَّيْفِ لُبْدَةَ شَعَرِكِ وحُمَّ إبْطُكِ كَمَا لَوْ صَبَّرُوا الوردَ بِالمِلْحِ فِي الجِفَان .

أنتِ خُبْزُ التَّقْدِمَة فِي الهَيْكَل ، وَعليكِ فُرْجَةُ الطُّقُوسِ الكَهَنُوتِيَّة : فُرْجَةٌ أبْرَزُوهَا بِالخَطِّ الاحْمَر .

أنتِ المَعْبُودَةُ مِنَ النُّحَاسِ البِكْرِ ، مَنْحُوتَة فِي صُورَةِ حُوتٍ دُهِنَ بِشُهْدِ الصَّخْرِ وَالنُّجُرُف .

أنتِ البحرُ نَفْسُه فِي لمَعَانِه سَاعَةَ انْشِقَاقِ كَبِدِ السَّمَاء المُشْتَعِلَة بِقُوَّة ، وَقَدْ هُرِيقَ زَيْتُ مَصَابِيحِهَا .

بَلَغَتْ نَفْسُكِ سِنَّ البُلُوغ : فَجَزِعْتِ إلى بُلُوغ القَبَسِ الوَرْدِيِّ الكَامِنِ فِي فُوهَةِ الرِّمَال .

أنتِ دِفْءُ الرَّمْلِ وَأرِيجُه ، وَأنْتِ نِعْمَتُهُ نَفْسُهَا وَنَسِيمُه فِي أعْيَادِ ظِلِّ الشُّوَاظ . فِيكِ نَسْمَةُ تلاَلِ البحر الازلِيَة وَكُلُّ الضِّفَافِ المُشَاعَةِ التِي يَرْتَعِشُ فِيهَا الحُلْمُ أفْيُوناً فَانِياً .

أنتِ صَيْحَةُ المِلْحِ وَعَرَّافَةُ المِلْحِ ، بَعْدَمَا انْسَحَبَ البحرُ بَعِيدا عِنْدَ سُطُوحِهِ الرَّقْطَاءِ بِالمَسَام .

أنْتِ الْقِشْرُ وَاللَّهَبُ الاخْضَرُ ، أنتِ ثُعْبَانُ اللَّهيبِ الاخْضَرِ بِأَسْفَلِ الصَّفَـائِحِ الصَّخْرِيَّةِ الْمُذْهَبَةِ مِنْ حَيْثُ تَهْبِطُ أغصان وَأَوْرَاقُ الرَّنْدِ وَالسِّنْدِيَانِ وَالْغَضَاةِ إِلَى لَظَى الْبَحْرِ بَاحِثَةً عَنْ نَمَشِ صُهْبَتِهَـا .

أَيَّتُهَـا المرأةُ ، أَيُّهَا اللَّظَى الذي قَامَ عَلَى شَكْلِ مَرْأة ، لاَ مُسَّتْ بِالْمَوْتِ شِفَاهٌ لَمَسَتْكِ !

أنْتِ الحَيَاة (وَلَيْسَ سِوَاك) تَدُلُّ عَلَيْهَا نَسْمَةُ الْمَاءِ الاخْضَرِ وَالصَّخْرِ ، وَرَائِحَةُ البِكْرِ وَغَابَةُ الْبَحْرِ .

أَرْدَافُكِ تَسْتَحِمُّ فِي نِعْمَةِ عَصْرِنَا ، فيكِ رَائِحَةُ اليَرْمَعِ اللامِعَةِ نُجُومُهُ ، وَنَشْقُ النُّحَاسِ المُتَدَفِّءِ فِي شَبَقِ الامْـوَاه .

أنْتِ الصَّخْرَةُ الْمُتَوَّجَةُ بِالطَّحْلَبِ عِنْدَ تَقَلُّبِ الامْـوَاجِ .

لَكِ عِلْمٌ بِبَوَاطِنِ أكْبَرِ النَّبَاتَاتِ الْبَحْرِيَّةِ الْمَخْلُوقَةِ فِي صُورَةِ عَلَقَاتٍ وَمُضَغٍ عَلِقَتْ بِهَا حَبَّاتُ حَجَرِ الْكِلْسِ .

أنت الْجَبِينُ ظَلَّلَ الظِّلَّ شَخْصَهُ ، وَأَنْتِ نِعْمَةُ الْمَرْوِ الكِلْسِيِّ ، تَتَحَرَّكِينَ مَعَ الْخَرْطَالِ وَذَرَّةِ الرَّمْلِ الْبَيْضَاءِ ، وَثَيْلِ الْحَصَا الْمَغْمُورَةِ ، وَتَخْتَلِطُ نَكْهَتُكِ بِنَسَائِمِ التِّبْنِ التي تَهُبُّ عَلَى الْبَحْرِ ، فَتَهُبِّينَ مَعَ الرِّمَالِ لِلْهِجْرَةِ نَحْوَ الْبِحَـار .

سَكِرْتُ وَانْتَشَيْتُ بِاحْتِضَانِ كُلِّ هَذِهِ الامْوَاجِ ! يَا قَلْبَ الْمُلُوكِ وَيَا إِهَابًا مِنْ جَفْنِ الْعَيْنِ أَرَقَّ ! إِنَّكِ تَفْعَلِينَ

فعلَ البَحرِ الزّاخرِ الذي لا مَحيدَ عنه ، وتَشعُرين بِضَمّهِ المُهتاج، مُتَفتّحَةً – سَيّدَةً أَمَةً – لانبساطِ الامواه .

البحرُ **المجزُورُ** يُباشِرُ فيكِ خوَاتمَهُ وحَدَقاته ، والنّهارُ يَقبِضُ والليلُ يَبسُطُ هذهِ المُقلةَ العَينْاءَ التي تَحوطُ بك .

حَمْداً لِتَواطُؤ الامواه حَمْداً ! وقَولِي حَمْداً لا يُدنّسُ بالعَارِ نَفسَك . كَيدَ الله المَبسُوطةَ تأخُذُ الرّجُلَ الذى سَتَضعُهُ المرأةُ مِنْ بَطنِها ، وتُلقِي بالنُّفَساء على خِرقِها وأغشيتِها المُجزّأة .

آه ! كالبَحرِ نَفسه لِلاشنَةِ والعَلَقِ أكّالٌ . كالبَحرِ بَطرْحِ أمامَ مَجمَعِ القُضاةِ والامّهاتِ جُيُوبهُ المَشيميّةَ الكُبرى ، وأشنَتهُ الكبيرةَ السّمراء ، ومآزرهُ العريضة من جِلْدِ ما يَلتحفُ بهِ القَوابلُ ومُقدّمُو القرابين .

الحقِ اللّهُمّ الشّهوةَ المُقدّسةَ بِضحيّتِها ، ولتَتَقَدّمِ العاشقةُ المُنكفئةُ على كمائمِ أغشيتِها إلى لَيلِ البَحرِ لِحَمّتِها المُرضِرضِ المُفتّحِ كالاشداق ، فليسَ ثمّةَ ما يُدنّسُ بالعَارِ نَفسَها .

فَيضٌ وتَفويضٌ ! لِتَعُمّكِ غَمرةُ اللّذّةِ المُقدّسة ، فأنتِ مأواها . تَمكّنتِ الغِبطَةُ مِنْ لَحمِك كما تَتَمكّنُ حُمّةُ اللّحمِ مِن النّفسِ . لَقد رأيتُ بَينَ أسنانِكِ أفيُونَ الإلهةِ يَلمَعُ أحمَرَ قانِياً .

الحُبُّ يُحرِقُ فُلكَهُ عَرضَ البحار . وأنتِ جذلَى في

الْوَطِيسِ الرَّبَّانِي كَالآلِهَةِ الرَّشِيقَةِ جَذْلَى تَحْتَ الْمَاءِ الْوَضِيءِ ، حَيْثُ تَنْسَابُ الظِّلَالُ فَاتِحَةً عُرَى أَحْزِمَتِهَا اللَّيِّنَةِ .

حَمْداً لِلتَّنَوُّعِ الإِلَهِيِّ حَمْداً ! إِنَّ نَفَسَ الْمَوْجَةِ عَبْرَ الْعَالَمِ هِيَ نَفَسُ الْمَوْجَةِ لِسِبَاقِنَا .

التَّفْعِلَةُ ضَيِّقَةٌ وَضَيِّقٌ الْوَقْفُ الَّذِي يَفْصِمُ جِسْمَ الْمَرْأَةِ فِي وَسَطِهِ ، كَمَا يُقَسِّمُ الْعَرُوضُ الْبَيْتَ التَّفْعِيلِي .

سَتَتَضَخَّمُ أَيُّهَا الشَّبَقُ . البحر الكَلِبُ يَحْفِزُنَا وَأَرِيجُ حِيَاضِهِ شَارِدٌ فِي فِرَاشِنَا .
كَالتُّوتِيَا حُجُرَاتُ الْعُسَيْلَةِ حَمْرَاء !

أَنِينُ الْمَرْأَةِ عَلَى الرَّمْلِ الدَّقِيقِ ، وَحَشْرَجَةُ الْمَرْأَةِ بِاللَّيْلِ مِثْلُهُمَا كَمِثْلِ زَجَلِ الْعَاصِفَةِ الْهَارِبَةِ عَلَى الأَمْوَاهِ . يَسَامُ الْعَصْفِ وَالْجُرُفِ ، وَقَلْبٌ يَنْكَسِرُ عَلَى الرِّمَالِ ، حَتَّى أَصْبَحَتْ مِنْ بَحْرِ تِلْكَ الْعَاشِقَةِ الَّتِي تَنْهَمِرُ بِالدَّمْعِ سَعَادَتُهَا .

أَنْتَ الرَّجُلُ تَضْطَهِدُنِي ، أَنْتَ الرَّجُلُ تَدُوسُنِي كَسُمَّانِ حَوَاضِنَ وَأَسْرَابٍ مِنَ الأَجْنِحَةِ رَوَاحِلِ . هل تُنَبِّؤُنِي بِمَنْ يَسَّرَ جَمْعَنَا ؟

أَيها البحرُ الممتزِجُ بِصَوْتِي ، أَيُّهَا البحرُ المختلطُ بِنفسي أَبَدَ الدَّهرِ ، يَا أَيُّهَا البحرُ الَّذِي يُعْلِنُ عَن نفسه عَبْرَ الصَّخْرِ وَعَبْرَ الْمُرْجَانِ ، هَل تَسْتَحسِنُ لِجِسْمِ الْعَاشِقَةِ الْوَلْهَى بِأَنْ يَكْتَسِيَ الرَّشَاقَةَ وَيَتَحَلَّى بِالاعْتِدَالِ ؟

هُوَ أنينُ مَرْأةٍ اعتَصَرُوهَا . إنَّهُ أنين مرأةٍ لمْ تلُوِّثْ بِالْجِرَاحِ . زِدْ سَيِّدِي في نكالِي وَمَدّدْ مَوْلاَيَ لَذَّتِي .

أرَأيتُمْ وَحْشا رَشيقاً أرَقّ عِشْقاً مِنْهَا يُعَاقِبُ عِقَابَهَا ؟ امرأة أنَا وَهَالِكَة في كُلّ جَسَدٍ لاَ يُوجَدُ العَاشِقُ بِهِ .

هَاتُونَا العَرَبَةَ القَاسِيَةَ التي تَرْكُضُ رَكْضا عَلَى الأمْواه . لِتَدُسْنَا سَنَابِكُهَا ، وَلْتُمَزِّقْنَا دَفّتُهَا ، وَلْتَحْصُدْ مِنّا بِيَدِهَا النُّحَاسِيَّة المُحْدَوْدِبَة . وَهَا هِيَ العَاشِقَة تُمْسِكُ العَاشِقَ كَشَعْبٍ فَظّ غَلِيظ ، وَهَا هُوَ العَاشِقُ يُمْسِكُ العَاشِقَةَ كَالكَوَاكِبِ انْتَثَرَتْ . وَهَا هُوَ جَسَدِي يَنْفَرِجُ لاَ عَلَى اسْتِحْيَاء — لِعَمُودِ القُدّاسِ كَالبَحْرِ نفسه إذْ يَنْفَرِج لِنَزْوِ الصَّاعِقَة .

هيه أيُّهَا البَحْرُ الوَاقِفُ في وَجْهِ الرَّدَى ! دُنْيَا مِنَ الْحُبِّ تَتَرَدَّدُ عَبْرَ العَالَمِ لِتُوَاجِه غَوْغَاءَكَ ! إنَّهَا نَفْسُ المَوْجَة عَلَى مَصْعَدِهَا ! وَأنْتَ أيُّهَا الاميرُ الآمِرُ ، إنَّكَ عَلِيمٌ بِمَا نُصْلَتُ مِنْ سُيُوف. الْحُبّ وَحْدَهُ يُوقِفُ المَوْجَة الطَّامِيَةَ المُنْحَنِيَّة ، يُوقِفُهَا عَلَى سَاقِهَا المُتَوَعِّدَة ، يُوقِفُ المَوْجَةَ المَلْسَاء ذَاتَ الصّلْبِ الارْقَطِ كَالصَّلّ .

لَيْسَ فِي الشَّرْقِ نَايٍ مِثْلَهَا يَنْفُخُ فِي قِنّينَةِ دُبَّائِهِ ، قَادِرا عَلى تَنْوِيمِ الوَحْشِ المُنْتَصِب .

سِوَى أنّ التي تَعْتَرِضُ وَحْدَهَا لِحِدّة الجِدَال . لِسَانا بِلِسَان ، وَفَحِيحا بِفَحِيح ، لاَهِثَة مُتَصَبِّبة ، وَقَدْ سَجَرَ

عَيْنَيْهَـــا الْقَذَى ، العَاشِقَةَ الْمُنْتَفِشَةَ ، الْمُتَرَبِّصَةَ الْقَوْسَاءَ الْمُنْقَضَّة ، يُصْدِرُ عَنْهَـــا صَفِيرُ العَاشِقَةِ وَالكَـــاهِنَةِ .

أَلَمْ يَئِنْ لَكَ أَيُّهَـــا الرَّمْحُ المُقَدَّسُ أَنْ تُرْسِلَ ضَرْبَتَكَ ؟ إِنَّمَـــا النَّسِيَ نِعْمَةَ مِنَ الوَحْشِ أَنْعَمَ عَلَيَّ بِهَـــا ! فَلْيَكُنِ الْجِـــزَعُ صَرْصَرًا وَلْيَزِدْ ! .. الْمَوت ذُو الرَّأْسِ الْمُنْحَرِفِ الحَادَ الْمَوْتُ ذو الرأسِ الشَّبِيهِ بِهَيْكَلِ السَّفِينِ، يَفْحُ فَحيحا بِلِسَانِه. كُنْيَتُهُ مُتَوَالٍ ، مَوْعِدُهُ بَـرَاءَةَ . أَنْصِتْ إِلَى الْمَوْتِ يَعِيشُ وَاصْغَ إِلَيْهِ يَئِزُّ كَـــالـزِيــزِ ...

أَيُّهَـــا العَهْدُ ، إِضْرِبْ ضَرْبَتَكَ ! وَلْيَكُنْ رَدُّكَ عَلَى مَوْلَايَ أَسرعَ رَدَّ وَأَمْرُكَ أَبلَغَ أَمرٍ ، فَقَدْ بَلَغَتِ الشَّهْوَةُ مُنْتَهَاهَا ! إِبْحَثْ أَبْعَدَ مِنْ دَلْوِكَ أَيُّهَـا الانْكَلِيسُ الْمَلَكِي ، كَالبَرْقِ يَبحثُ عَنِ قِرَابِ السَّفِين .

لَقَدْ ضَرَبْتَ ضَرْبَتَكَ أَيَّتُهَا الصَّاعِقَةُ المُقَدَّسَةَ ! مَن يُرْسِلُ مِنْ أَعْمَـاقِي هَذِهِ الصَّيْحَةَ المُدَوِّيَة ، صَيْحَةَ مَرْأَةٍ لَمْ تُفْطَمْ .

يَـا لِلرَّوْعَةِ وَيَـا لِلْحُزن ! وَيَا لِمُشْطِ الإِلَهَةِ الرَّفِيعُ يُنَضَّدُ زَبَدَ البَحْرِ الْمُسْتَبْشِرِ ! وَيَـا لِكُلِّ النِّعَمِ عَمَّتْ وَانْتَشَرَتْ نَوْرَجا مِنْ ذَهَب ! كِدْتُ أَحسَبُ أَنَّنِي لِابْوَابِ الْغَيْبِ طَارِقَة ، وَحَوْلَ حَرَمِ الْمُحَـــالِ حَـــائِمة .

أَيُّهَـــا الإِلَهُ الَّذِي نَزَلَ بِرَحْبِنَـا ضَيْفا عَلَيْنَـــا ، أَدِمْ فِينَـــا دَوَّامَتَكَ الثَّـــاقِبَـة .

الْمَوْتُ الْبَاهِرُ الْبَاطِلُ يَمْشِي مَشْيَ الْهَرْوَلَى إلَى فُرُشٍ أخْرَى لِيَنْزِلَ بِرَحْبِهَا ، وَالْبَحْرُ الْغَرِيبُ الْوَجْهِ ، الَّذِي بَذَرُوا الزَّبَدَ فِي بَطْنِه يَلِدُ خَيْلَهُ الْمُطَهَّمَةَ بِضِفَافٍ نَائِيَةٍ أخرى .
إنَّ هَذِهِ الدُّمُوعَ يَا حَبِيبِي لَمْ تَكُنْ دُمُوعَ هَالِكَةٍ :

يَا لِلسَّفِينَةِ الْمُتَفَتِّحَةِ عَلَى حَيْزُومِها ، اللاَّمِعَةِ بِأوَارِ الْجَمْرِ وَالذَّهَبِ ، الْمُشْتَعِلَةِ سَلَّةَ غَرَقِهَا .

يَا لِلرَّوْعَةِ وَيَا لِلْحُزْنِ !

حُمْ حَوْلَ الْكَائِنِ الاوْحَدِ بِأسْرَعَ مِنَ الْبَرْقِ وَأكْثَر ، فَالْبَحْرُ لَيْسَ بِأجْشَعَ مِنَّا فِي الْتِهَامِ رَبِّهِ .

حَمْدا لِلَّتِي كَانَتْ هُنَا وَمَرَّتْ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ . آه ! كَالَّتِي كَرَعَتِ الدَّمَ مِن طَاسَاتِ الْمُلُوك ، فَنَسِيَتْ جِنْسَهَا وَمَقَامَهَا ، وَلَكِنَّ حُلْمَهَا لاَ يَزَالُ عَالِقا بِذِكْرَاه : « لَزِمْتُ الْمَوْتَ الْبَاهِرَ الْبَاطِل ، وَخَاطَبْتُ وَجْهَا لِوَجْهِ الصَّاعِقَةَ الَّتِي لاَ وَجْهَ لَهَا ، وَأنَا الَّتِي أعْلَمُ مِنْ الْبَحْرِ أكْثَر مِمَّا يَعْلَمُه الاحْيَاء ، إنِّي لَعَلِيمَة بِالالَم الْقَدِيمِ الْكَامِنِ فِي مَغَانِيهِ الْمُشْتَعِلَةِ الصَّفْرَاء . إنَّ مَنْ يَحْلُمُ بِالسَّيْفِ الْمُجَرَّدِ الْمُلْقَى فِي الأمْوَاهِ الْوَضِيئَةِ لَكَفِيلٌ بِألاَّ يُجَرِّدَ الاسْطُورَةَ مِنَ الْمَشَاعِل وَالدُّمُوع ... »

العَاشِقُ لَيْسَ مَصْدَرَ دُمُوعِ العَاشِقَةِ أيَّتُهَا الْمَحْبُوبَةُ الَّتِي تَهْضِمُ حُبَّنَا . التَّبَارُ لِلاَلَهِ الْغَيُورِ الَّذِي اقْتَطَفَكَ مِن بَيْنِ ذِرَاعَيَّ ! اليَدُ الَّتِي تَعْتَصِرُ العُنْقُودَ بين جَبْهَتَيْنَا يَدٌ

غَرِيبَة عَنَّا . أنت المُشَاعَةُ كُنْتِ تَغْدِرِينَ ، خِيَانَة لِلْعَهْدِ وَأيَّ خِيَانَةٍ وَاحرَبَاه ! إعْتِقَادٌ بَاطِلٌ أنَّنَا لِلْكَائِنِ الاوْحَد طَارِقُون . هَلْ تَكَلَّمَ أحَدٌ بِكَلاَم ؟ لَنْ يَسْمَعَهُ أحَد .

اللاَسُكْنَى مَغْنَانَا وَالنَّقْبُ لاَ عَاقِبَةَ لَهُ . لَكِن الاعْتِزَاز بِالْحَيَاةِ هُوَ فِي الْبُلُوغ ، لاَ في الاسْتِعْمَال وَالامْتِلاَك .

سَتُخْلَقِينَ أيَّتُهَا الشَّهوَةُ خَلْقًا جَدِيدا وَتَتَسَمَّيْن أمَامَنَا بِاسْمِكِ الاخَر . يَا عِشْقُ يَا مَسْلَكَ مُلُوكٍ يَنْهَضُ مِنْهُ الْمَلِكُ الْمُنْتَشِي مَخْفُوراً بِصَاحِبِ الْعَصَا !

أيَّتُهَا الشَّهْوَة ، يَا أيَّتُهَا الشَّهْوَةُ السَّبَّاقَةُ الَّتِي تُمدُّنَا بِعَوْنِهَا ! هَل هَذَا هُوَ اسمُكِ وَحْدَه ؟ أمْ لَكِ اسْم غَيْرُهُ ؟

يَا مَنْ يَبْعَثُ صَيْحَةَ الرَّمْلِ بَعِيدا بِأعْتَابٍ لاَ تُرَى وَيَجْعَلُ الرَّسُولَ يُرَى عَن كَثَبٍ عَلى الامْوَاه ! يَا أيُّهَا الْمُبَشِّر ، سُؤَالُكَ الشَّيْءُ أوْسَعُ وَطَرَائِفُكَ قَدَد . إنَّكَ تَنْتَعِشُ مِنْ جَدِيد أمَامِي وَلاَ تَفْتَأ تَمُدُّ إلَيَّ سِلاَحَكَ مَدّا ، فَهَلا تَمُدُّ إلَيَّ الْمَرْأةَ عَلَى قَوْسِهَا مَدّا بَعْدَ مَدٍّ ؟

أعَاصِيرُ الشَّهْوَة مُرْسَلاَت ، وَالْبَرْقُ مِن كُلِّ فَجٍّ يُرْسِلُ طُيُورَ سَعْدِه ! امْتِصَاصُ الإلَه الجَبَّار يَقَعُ عَلَى سَطْحِ الامْوَاه المُتَوَرِّم . البحرُ فِي صُورَةِ حُوتٍ لَمْ يَمْتَزِجْ بِقَلْبِ الاشْيَاء الْكَسِير . أيَّتُهَا الرَّغْبَة المُسَيْطِرة ، تَقَمَّصِي صُنْعَ يَدِك ، بَحْرُ الاحْلاَمِ المُتَجَوِّفُ يُسَلِّم لِلازْمِيلِ كُعُوبَه وَثُلاثِيَاتِه الْمُقَسَّمَةَ ، فَيُشَتِّتُهَا شَظَايَا زُجَاجٍ أسْود كَسَيْل بُرْكَانٍ بِلَّوْرُوه.

أهْبِطْ أيُّهَا النَّحّاتُ الأعْظَمُ وَلْيَكُنْ قَلْبُكَ عَظِيمًا إذِ الصَّنْعُ عَظِيم ، أهْبِطْ بَيْنَ بَنَاتِكَ وَفَعَلَتِكَ وَكُلُّ قَوْمِكَ مِمَّنْ جَابُوا الصَّخْرَ لَكَ .

أنْظُرْ أيُّهَا الحُلْمُ صُنْعَكَ مِنْ جَدِيد : فَلَيْسَ هُوَ مِجَنَّ الصَّائِغِ وَالْمَسَاوِيَةَ الفِضِّيَّةَ الْمَنْقُوشَةَ التي يَجْرِي بِهَا خِزْيُ الْوُرُود ، وَلَا الأرْقَطَ الزَّهْلُولَ وَسَطَ الكُرُوم ، وَلَا الْعَذْرَاء عَلَى صَهْوَةِ الثَّوْر ، أو الدَّلْفِينَ الْمُتَوَّجَ بِعَنَاقِيدِ الزَّبَدِ . بَلْ هُوَ البَحْرُ فِي كُلِّيَّتِهِ الْفَاحِمَةِ اللَّامِعَةِ السَّوْدَاء كَشَحْنَةٍ مِنَ السَّلَاسِلِ بِمَخَازِنِ السُّفُنِ الْمَشْحُونَةِ ، هُوَ كُلُّ هَذِهِ الشَّبَكَةُ الْمَكِينَةُ مِنَ الْقُوَاتِ وَالاحْلَافِ . هُوَ البحرُ وَحَلَقَاتُه وَعُرَاهُ وكُلُّ أفْوَاهِهِ المُعَلَّقَةِ بِحَلَقَةِ الشَّهْوَةِ ، مُتَجَرِّدًا مِن أحْزِمَتِهِ ، مُتَلَفِّعًا بِبُرْدَتِهِ الْوَاسِعَةِ الشَّبِيهَةِ بِإهَابٍ بَغْلَةٍ مُثْخَنَةٍ بِالْجِرَاحِ : جُيُوبٌ رَخْصَةٌ ذَاعِرَةٌ .

عِنْدِي خَلِيلَتَاهُ أبْلَغُ مِمَّا قِيلَ وَقَدْ مَرَّتِ الالِهَة : لَمَحْتُ البَحْرَ الرَّاسِخَ – لَوْنَ الرَّسُوبِ – صَحِيفَةً وَاحِدَةً. وجُمْلَةً وَاحِدَةً . نَظَرْتُ إليهِ فِي تَقَلُّبِ أمواجِهِ عَلَى مَغَانِيهِ المَدِيدَةِ الْمَلْسَاء، الرَّصَاصِيَّةِ السَّوْدَاء ، أبْصَرْتُهُ عَنْ بُعْدٍ فِي السُّكُونِ الْعَمِيقِ الْمُخَيِّمِ عَلَى أبْهَى حُقُولِ الافْيُونِ الاشْهَبِ ، أبْصَرْتُ البحرَ بَعِيدًا كَسَبَلٍ تَخَيَّلُ مَلِكَاتِهَا النُّوبِيَّاتِ ذَوَاتِ الْوَشْمِ الازْرَقِ عَلَى الْجَبِينِ .

أيَّتُهَا المرأةُ الرَّفِيعة فِي فَيْضِهَا كَمَا لَوْ أمْسَكَهَا مَجْرَاهَا !

سَأقُومُ ثُمَّ أقُومُ شَاهِرا سَيْفِي فِي لَيْلِ جَسَدِكِ ، وَأنْهَمِرُ ثُمَّ أنْهَمِرُ بِسَنَواتِ بَحْرِكِ .

مَـا أضْيَقَ الـرّوحَ ثُمَّ مَـا أضْيَقَهَا عِنْدَ فَلَقِ الْجَسَد ! وَأنْتِ الّتِي تَتَغَنّيْنَ وَتَهَمْسِينَ عَلَى ضَفّتِكِ الشّائِكَة هَذِهِ العَرّافَةُ المُتَفَتّحَةُ عَلَى صَخْرِهَـا كَفَتَاةِ الْحَبَشَة ، هَذِهِ الدّاهِيَةُ الـدّهْيَـاء قُوّة وَحَنَـانا ـ الّتِي تَنْفُثُ رَبّهَـا ـ سَتُلاَزِمِينَ ثُمّ تُـلاَزِمِينَ صِحّةَ الْخَيَـالِ الطّارِق : هَذا البحرُ الآخرُ الاوْسَعُ وَالـدّانِي ، الّذِي لاَ أحَدَ يُلَقّنُهُ وَلاَ أحَدَ يُسَمّيه . غُصْ فِي عَدْوِكَ أيُّهَـا الإلَهُ البَاطِلُ فَـإنّـا مَنَازِلُ لَـكَ تَطْوِيهَـا . إنّهَـا نَفْسُ الْمَوْجَةِ عَبْرَ العَالَم ، نفسُ المـوجـة مُنْذُ طَرَوَادَةَ ... المـوجَةُ تَنْدَفِـعُ صُعُدا فَـإذَا هِيَ مَرْأةٌ تَسْعَى . البحرُ ـ بَطْنُ العَاشِقَةِ ـ يَعْجِنُ فَرِيسَتَهُ عَجْنا مِنْ غَيْرِ وَهَنٍ . وَالحُبّ يَجْعَلُ سَرِيرَ الصَّنَوْبَرِ يُغَنّي عَلَى ألْوَاحِه ، وَالْبَحْرُ يَجْعَلُ السّفِينَ المُقَدّس يَتَأرْجَحُ هَيْكَلُهُ عَلَى مَفَاصِلِه ، مَا أغْنَـى بِـالقُـرْبَـانِ أرِيكَتَنَـا وَأثْرَاهَـا بِحَمَلِ صَنَـائِعِنَـا !

أيّتُهَـا العَذْراءُ المُوثَقَةُ بِجِذْعٍ أنَـا مُقَدّمُ زَوْرَقِهِ ، أنْتِ نَخْبُ الخَمْرِ بِمَقْطَعِ مُقَدّم السّفِين .

أنْتِ قُرْبَـانُ عَرْضِ البَحْرُ مُقَدّما إلَى الامْوَاتِ الّذِينَ يُهَدْهِدُونَ الاحْيَـاء ، أنْتِ الإكْلِيلُ الرّخْوُ مِنَ الْوُرُودِ القَانِيَةّ الْمُنْتَشِرُ عَلَى الامـوَاهِ بَعْدَ صَلاَةِ الـوَدَاعِ ، سَتَشُقّ لَيْلا سُفُنَ التُّجّـارِ خَطّهُ الْمِعْطَـار . »

ـ يتبع ـ

طعام البحر

قصة ، بقلم نور الدين بن بلقاسم

الوحشية كلاليب تمزّق النفس ... والظلام المخيم على الجزيرة ستار يصد النظر عن رؤية الافق ..

دموع التماسيح التي سكبناها ترثي لحالنا ... جنون وتفاهة وضعف جراثيم مستقرة في أعماق نفوسنا ...

في تلك الليلة الملعونة لم يسمع سكان الجزيرة صراخنا .. عندما ارتجت بيتنا وارتجت من الزلزال ، وكنت أنا وأنت عندئذ نتسامر داخلها ... فتحت فاك عندما انشق الحائط وبقيت تنظر وتنظر بلا حراك .. وقد احتضنتك الغفلة ... وشلّ وعيك الذهول ... أفقت من ذهولك مع سقوط أولى الحجرات على رأسك ... عندئذ صحت وصحت تطلب معينا ... وقبر صدى كلماتك تحت الانقاض .. ونجونا وقد تحطمت يدي اليمنى ، وتصدّع رأسك بالحجارة ...

لقد قضينا مدة طويلة بحجة أنّنا مرضى نتألم ، والآن وقد رجعت إلينا العافيّة ألا نرمم بيتنا من جديد ؟

– لقد تهدم ويصعب ترميمه !
– لنحاول .
– ستكون النتيجة بلا جدوى .
– لنجرّب !
– ليس لنا من القوّة ما يكفي .

– سنطلب المعونة من سكان الجزيرة
– لم يسرعوا لإنقاضنا من الموت عندما قام الزلزال ، فما بالك بإعانتنا على ترميم البيت .
– لكن وعدت جدي بترميمه ... وكان وعد ترميم هذا البيت المهدم سنة في عائلتنا يأخذها الكبير عن الاكبر .
– لم يقم جدّك بيته على أسس متينة وإلا لم تهدّم .
– دعنا من هذا الهراء ولنبدأ الفعل
– أنت مجنون . أنت تهذي
– قلت لنطلب المعونة ولنجرّب الفعل
– سكان الجزيرة أعداؤنا .. وآثار أقدام الغول وجدتها بالامس في حديقتنا ... لقد دخلها الغول لاكل ثمارها القليلة ، وإذا بقينا هنا فإننا هالكون .
– ليبتلعنا الغول إذا قمنا بواجبنا !..
– وأدوات البناء ؟
– لنا مطرقة وملعقة وسلة .
– أدوات قديمة لا تفي بالحاجة : المطرقة بلا يد ، والملعقة مشطورة اللّسان ، والسلة مثقوبة في الاسفل .
– إذا مكثنا بدون حل فإننا هالكون .
– إذا ما العمل ؟
– لنهرب .
– لا . لنواجه الحقيقة .
– أنت متهوّر ...
– وأنت جبان بن جبان من شعب عريق في الجبن ...
– سيقضي علينا الغول !

— إني حائر .
— هه حائر . هيا بلا تردد
— لنحاول على الاقل صنع زورق نعبر عليه
— ليس لنا الوقت الكافي .
— أخشى الغرق .
— أعتمد علي فأنا ماهر في السباحة .
— وأدواتي القديمة ؟ ؟
— سألقيها في البحر بنفسي ..
— هذه تراث عزيز علي تذكرني بجدي ووالدي ..
— أصنع أدواتك بنفسك ... ودع الهراء ..

الظلام الذي يلفنا ونحن متجهان نحو ساحل البحر ينذر بمصيرنا لقد وقعنا في حفرة تشبه الجبّ ، ولم نخرج إلا بأعجوبة ، وسرنا وقد بدأت النجوم تغور في الافق الغربي ، ولاح لنا شعاع أحمر ضئيل من الشرق . قلت لك مشيرا :

— أنظر ألا ترى غضب البحر ، وأنا لا أحسن السباحة ؟
أجبتني حانقا :
— أعتمد عليّ سأحملك على كاهلي .
ودخلنا الأعماق لنجرّب :
— آه لقد دخل الماء خياشيمي وأذنيّ .
— قاوم فسنصل إلى الشاطيء الآخر .
— حلم بعيد المنال .
— كل شيء ممكن .
— إني أرى ضوءا بعيدا ... لعله ضوء قارب لنلوح له بأيدينا حتّى نستقله .
— أو تظن أن ربانه سيرانا ؟
— أغلب الظن .
— الظلام يحول بيننا وبينهم، وهم عادة ما ينامون عندمايستيقظالنّاس.

ــ أحسّ بوخز في رجلي .
ــ لعله من فعل إحدى هوام البحر .
ــ يا لها من مغامرة خاسرة !
ــ قاوم فنحن معرضون لكلّ شيء .
ــ لكنّني أتألم ...
ــ وأنا قد تعبت .
ــ لنسترح ...
ــ إذا استرحنا سنسقط في الاعماق .
ــ لكن ما الحيلة الآن وقد قطعنا شوطا طويلا فلا نستطيع الرجوع إلى اليابسة ..
ــ في الحقيقة اتعبني جسمك البدين .
ــ صحيح حصل لي إحساس بهذا .
ــ لقد ندمت .
ــ من ماذا ..
ــ من ... آه أحس بوخز في رجلي ...
ــ اللجة تطفو علينا
ــ لنقاوم ... الرجوع متعذر ... والمسافة الباقية طويلة ... والإستراحة غير ممكنة ...
ــ أحس بالخوف ...
ــ أعرفك جبان ..
ــ آه .. آه ... حيوان بحري يغرزُ نابه فى بطنى ... أمسكني ... أمسكني ...
ــ قاوم ... قاوم ... سنغرق سنغرق ... لقد غرقنا غرقنا غَرقْ ... غَرْ ... غرْ ... غَرْ ...

ن• ب•

تونس فى 70/3/7

مقاطع دموية*

شعر : عبد الله الكحلاوي

1. — عِنْدَمَا ... أحبّكْ

عِنْدَمَا تَخْضَرّ بِعَيْنَيْك يَا أغْلَى حَبِيبَهْ (*)
غَابَةُ اللَّوْزِ وَالصَّنَوْبَرْ
عِنْدَمَا تَغْسِلُ المَطَرْ
قَلْبِيَ المُثْخَن الحَزِينْ
عِنْدَمَا يَمْحِي اللّيْلُ أتْعَابِي
ثُمّ تَفْنَى الأوْجَاعُ ، يَفْنَى الأنِينْ
عِنْدَمَا يَصْرخُ الشّتَاءُ وَيَزْأرْ
فِي الشّرَايِين ، فِي العُرُوق الغَلِيظَهْ
فِي النّفُوسِ البَائِسَة العَلِيلَهْ ...
عِنْدَهَا، عِنْدَهَا أصِيحُ أحِبّكْ
حُبّ صُوفِيّ يَتَخَمّرْ
حُبّ فِرْعَوْن يَتَجَبّرْ
حُبّ مَكْبُوتٍ يَتَفَجّرْ

* * *

2. — الطّائِرَةُ ... أشْلاَءٌ (1)

الطّائِرَةُ الكَبِيرَهْ
الطّائِرَةُ العَرِيضَهْ
تَذُوبُ فِي الفَضَاءْ

لأنَّهَـــا تحَـولَـتْ
تَحولَتْ مِنْ خطِّهَـا المُعْـتَـادْ
تَحوّلَتْ ، تفَرْقعَـتْ
تمَـزّقَتْ فِي قَلْبِـي
تمزّقتْ أشْـلاءً
كَجسْمِـيَ المَنْسُوفْ ...
كَجُرْحِـيَ النَّـازفْ ...
كقَلْبِيَ النَّـاشفْ ...
تمَـزقَـتْ تفَرْقعَتْ
تفَـرْقعَتْ تمَـزّقـتْ ....
وأنْتِ تُـريـدِينَ حُبِّـي (2)
تُـريـدِينَ قَلْبِـي
تُـريـدِينَ فَيْضِي
وَتذوِيبَ عقْلِي ...
عنْدَمَـا تأتِي الطَّـائرهْ (3)
بَعْـدَمَـا كَـانَتْ أشْـلاءً
بَـعْـدَمَـا كَـانَتْ أشْـلاءً
عِنْدَهَـا ، عِنْدَهَـا أصِيحُ أحِبّكْ
حُـبّ صُوفِيّ يتَخَمّـرْ
حُـبّ فِـرْعَـوْن يتَجَبَّـرْ
حُـبّ مَكبُـوتٍ يتفَجَّـرْ .

* * *

3. ـ الخُـبْـزُ الاسْـودْ (4)

وَيَسْألُ الطِّفْلُ أمَّـهْ

وَخُبْزَهُ الاسْوَدْ
مُلَوَّنَا ، فِي يَمِينِهْ
أَلَيْسَ عِنْدَكَ خُبْزٌ
غَيْر هَذَا الاسْوَدِ اليَابِسْ ؟ ؟
وَتَرْفَعُ الامّ عَيْنَا
إلَى خَيْمَةٍ سَوْدَاءْ
تَمَزَّقَتْ كَحِذَاءٍ
كَخِرْقَةٍ غَبْرَاءْ ...
لانَّنَا يَا ابْنِي
نَعِيشُ فِي الصَّحْرَاءْ
فِي الخَيْمَةِ السَّوْدَاءْ
وَأرْضَنَا المِعْطَاءْ
قَدْ بَاعَهَا « سَاسَةُ السِّلْمْ »
وَالخَيْرِ وَالحُبِّ وَالحِلْمْ ...
وَأنْتِ تُرِيدِينَ حُبِّي (5)
تُرِيدِينَ قَلْبِي
تُرِيدِينَ فَيْضِي
وَتَذْوِيبَ عَقْلِي
لَكِنَّ أرْضِي غَرِيبَهْ (6)
وَخُبْزَنَا يَابِسْ ...
وَعِنْدَمَا نُبْدِلُ الخَيْمَهْ ...
نَفْتَكُ أرْضَ جُدُودِي ...
عِنْدَهَا . عِنْدَهَا أصبحُ أحِبُّكْ (7)
حُبَّ صُوفِيَّ يَتَخَمَّرْ

حُـبَّ فِـرْعَوْنٍ يَتَجَبَّـرْ
حُـبَّ مَكْبُـوتٍ يَتَفَجَّـرْ .

ع٠ ك٠

تونس فى 12 ــ 12 ــ 70

(*) هذه محاولة شعرية جديدة ضمنتها بعض التفعيلات التي لم تستعمل في الشعر الحر من قبل ــ حسب ما أعرف ــ وقد قصدت ذلك قصدا للبحث عن أنغام موسيقية متداخلة داخل التفعيلة وهذه التفعيلات من : البحر الخفيف والمجتث مع ادخال بعض الجوازات عمدا . زيادة على تفعيلات : الرجز والمتقارب مع تداخل بعض هذه المقاطع في بعضها بحثا عن التنغيم . وهي لا تعدو أن تكون مجرد محاولة بسيطة أترك الحكم فيها للقراء .

(**) البحر الخفيف : فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مع بعض الجوازات (وهو ــ حسب ما أعلم ــ غير مستعمل في الشعر الحر .)

(1) البحر الرجز . مستفعلن مستفعلن مستفعلن : (مستعمل في الشعر الحر) .

(2) البحر المتقارب ، فعولن فعولن فعولن فعول (مستعمل في الشعر الحر)

(3) عودة إلى البحر الخفيف (مع التصرف في بعض التفعيلات)

(4) البحر المجتث مستفعلن فاعلاتن (وهو ــ حسب ما أعلم ــ غير مستعمل في الشعر الحر .

(5) عودة إلى البحر المتقارب

(6) عودة إلى البحر المجتث

(7) عودة إلى البحر الخفيف وهذه العودة مقصودة للغرض المذكور .

من ديوان .. قصائد مسلحة الى امرأة في الشرق الاوسط :

امرأة أبي لهب

شعر : عبد الرؤوف الخنيسي

« الى صديقي الطاهر الشريعة ذكرى آخر لقاء به أمام غزالة من الروزى افترسناها في رحاب اليونسكو »

أرجوكِ باسم الحب
أو باسم الحقد والغضب
يا امرأة أبي لَهَبْ
حَمَّالة الحَطَبْ
فِي جيدِها حبْل من مَسَدْ
أن تزرعي الالغام
في طريقي
أن تبعثي الضيَاءَ
في شروقي
أن تشعلي الحريق
في حريقي
أن تُرْعِدِي سمائي
بالبروق ...

* * *

سيدتي :
أرجوكِ أن تمسحي

عيوني
أن تكذّبي ظنون الناس
في مجوني
فأنا كالثلج العاري
أمارس الجنون والفنون
في وضح النهارِ
قلبي ...
كصدفة البحارِ
هرّبتُهُ من قذارة القرصان
والتّتَارِ
أفكاري ...
أعطيتُها ... أطعمتُهَا
للأرياح ... للاعصار
عساني يا سيدتي
اجتاز ... مرحلة انتحاري

* * *

ومدّت لي بزهرة نديَّة
يدعونها الحرية
سقيتُها بأدمع طاهرة نقيَّة
دسَسْتُهَا في أضلعي
شظيَّة ... شظيةْ
وطفتُ مزغردا
للحبّ ... للماويَّة ... للحريَّة

* * *

فككتُ عنهـا
حصارَ الجاهلية
حميتُهـا
من نِبَال العنتريَّةِ
ومن مقَاصِلِ
عروبة غبيّة
تُضاجعُ التعذيبَ
فيِ الاردنّ.. فيِ سورية

* * *

يا أنتِ ... يا كلمة نبيّة قدسيّة
يا أنتِ ... يا امرأة قادمة إليّ
أحبك ... مليون حب
لانك ... لانك الحرية

ع. خ.
مدريد 8 أوت 1970

عناوين القصائد والقصص والمقالات وشعاراتها التي تستفتح بها من وضع اصابها او برضاهم .

الفكر

غفلة المنتهى

قصة ، بقلم : عمر الببة

ويصدمك بالحقيقة من تملق وتنكر ، والكلام رقاع رتقتها الالسن قناعا شوه وجه الخزي وأهال الجريمة ... وأنت الغافل لسانك حلزون يغريه البلل رطوبة مكفهرة تخترق الجسم العاري ... وهي تموء على السرير والجداران زاوية أطمئن إلى ضيق ظلمتها وأنا الذي يخاف إشراقة الفضاء لتعقدات في الحياة كرهت افتعالها ... .

كان الصمت قاتما والنور ظلمة موحشة ... والهرّة تموء مواء وما أحس المخاتل برهبة المأساة ومتى كان له هفوة في مواقع الخطر وكل شيء عنده يقرأ له ألف حساب ! ...

أمّا الجيفة فلم يشمّ نتونتها ولما فطن بها حواها تحت جسمه ومدّ أنفه بعيدا ... وتُطقطق العظام كتثاؤبات باب سجنك المصفح دفعته يد عنيفة ملحّة وأنت الموقوف بلا أمل حطّمك الذهول والصائتة تحجرت في أعماقك نكبة صمّاء ... وتصدمك الحقيقة صدى ملعلعا تلفظها أفواه لشمتك على الجبين قبل أن تولد ... وفي رئتيّ رائحة الفضيحة وما لثمتك قط لا حبّا ولا كرها . ولست جازما لك أو عليك ومتى كان لمثلي القول الفصل لبراهين هزيلة أو سمينة والجدب والخصوبة حالتان تبكيها العاقر وتندبها الولود وأمك صاحت :

– يا ليتني ما ولدت حتى لا تكون !

عيون همجيّة ، ثقبت وجهك غمزات مقيتة والاصوات

همهمات ساحرة ولو استطاعوا لمزقوك أشلاء ولنثروك رمادا تتنفّسه صدورهم فيسعلون ويتمخطون على عتباتك وطؤوها أيام غفلتك زائرين وتحولت الزيارة عادة يلتحفونها سترا في غيابك يلهون على سريرك ... والمهزلة فضيحة بصقتها الافواه النتنة ولعقتها الالسن الخشبيّة وأنت الغافل ... حتّى صدمتك الحقيقة واقعا حزينا فوخزك الجنون غضبا سخيفا وانتبهت الغفلة غيبوبة موجعة فأغمدت حقدك . تزهق النفسين وما صحت وما بكيت . وفي وقفة الذهول الاعمى ارتسمت الفضيحة على جبينك وتفصد حقدك اشمئزازا مبرّحا فهربت والفضيحة على جبينك مرسومة وتلك آثارها تتلوّى على سريرك والمخاط دنس بياضك شناعة قذرة وكل شيء شاهد ... وأنت الهارب تبحث عن كل شيء ولا على شيء .

مأساتك مأساة « Œudipe » فقأ عينيه وتاه في الارض وما فقأت عينيك وهما من خشب ومن حجر وما تهت في الارض والارض ضيّقة رتّقتها الحواجز ونخرتها الحشرات تفتّت لحمك وتنهش عظامك وأنت المرفوس تحت ثقالها يبكيك من عرف قدرك .

قتلوك وما استطعت قتل نفسك لا هروبا من الموت وحوافره اصطكت على صدرك ولكن رهبة الحياة فسخت فيك امتعاض أقوال سخيفة وقديما قيل : من قتل يُقتل . ما أحوج الإنسان للقتل ولولاه ما شعُر بحقيقة الحيـاة . حياة تبدأ بانتهاء الحاجة إلى الموت فيضيع كل شيء وكأنْ ما تمّ القتل وما ابتدأت الحياة والعمر نزيف أيّام ينضح على جبين القدر الموهوم ... والفضيحة نبشات أظافره قذرةً حفرت جرح العار عميقا وسال الدم متفجرا كما سال من رقبتك لطخ عارضيك والارض وكما سال من الجسمين لطخ بياضك والجدار والهاتك سقط هاربا فتهشم ودمه تجمد على الارض حروفا لعقتها عجائز الموت في رهبة الاسطورة : أنا نهرته فتألّب وقتلته فليتألب .

وتصمت الجريمة وأصابعها المتقلصة مغروزة فى الرماد والليل هزيع موحش ... وأنظر إليها ذاهلا فتغمغم : مُقدّر يا هذا ، وعد الله نافذ .

وتبكي الجريمة والدمع فى عينيّ الصامتتين والمأساة تمضغها ذكريات مبهمة حرّكتها الشجون امتعاضا موجعا وكل شيء كما كان بلاه الكدر وأتلفه الهذيان ومازالت الفضيحة ورثتها وصمة على جبيني وقذارة في دمي ... كالدم الذى سال من الجسمين لطخ بياضك والجدار وياليته كالدم الذى سال على رقبتك فاح على عارضيك والارض ...

وتصمني الجريمة باكية : « أبوك » ... مسكين « أبوك » ، سامح الله أمّك .

وأنقشع في انتفاضة قويّة ويغشّي عينيّ غيظ يلهب فى نار التمرد ويملأ صدرى دخان الكدر اختناقا موجعا كالدخان الذى كنت تتنفّسه يوم جلست تخط الارض بإصبعك مشاريع واهية أغراها الامل وندبتها الفضيحة فنظرتَ إليّ فى إشفاق وكنتُ لا أعي ... حتى صدمتني الحقيقة كما صدمتكَ فكنت شبه الآثم وكنتُ شبه الموقوف ... وتتحرك الاصابع المتقلّصة تنبش الرماد والنار رماد ... ونار الفضيحة تكوى جبيني ويسيل أجيجها في دمي ... دمي القذر كالدم الذى سال من الجسمين لطخ بياضك والجدار ويا ليته كالدم الذى سال على رقبتك فاح على عارضيك والارض فأكون منك ولا أكون اللّقيط.

ع. ب.

تونس فى 30 ديسمبر 1970

اصوات خارج الزريبة

شعر : الطيب الرياحي

مِنْ قَبْلِ أنْ نَحملَ عِبْءَ الانبياءْ
من قبل أنْ نقول للجلاّدِ : لا
من قبل أنْ نَخُطَّ أيَّ كلْمَة
على جدار الصّمْت والفَنَاءْ
لابُدَّ أنْ نكونَ أوْفياءْ ...

* * *

لاَبُدَّ أنْ نَسيرَ للنِّهَايَه
مَهْمَا تصدّعت أصواتُنَا
مهما تباعدت خُطُواتُنَا
لابدّ أنْ نَسيرَ للنّهَايَه
لانّ ما نكتبُهُ
وَكُلَّ ما ننشرُهُ
يَحْمِلُ فِي أعماقهِ رسالة ،
ولم يَكُنْ هِوَايَه ...

* * *

أنْ تَنْحَنِي للرّيحِ في بدايَةِ الطريقْ
أنْ تُغْمِضَ العينيْنِ فِي دَوّامَةِ الدخانْ

وَتَسْتَحيلَ مِزاً أو بُـوقْ
أوْ مُضْحِكَا في قلعةِ السُّلْطَانْ ...
أنْ تقبلَ الصفعةَ مِن مُضَاجِعِ الامـواتْ
أوْ تنتهـي للصمتِ وَالسُّبَاتْ
خِيَـانَة للأرض وَالإنسانْ
والفِكرِ والحيـاةْ ...

* * *

كنتُ أسيرُ خارجَ الزَّريبَه
وكـان سيِّدي على قـارِعَةِ الطريقْ
يَحْمِلُ سَيْفَهُ ،، ينتظرُ الضَّرِيبَه
لَكِنَّنِي مَرَرْتُ دُونَمَا تَحِيَّـه
وكُلُّ مَا قُلْتُ لـه :
في عَصْرِكُمْ ، يـا سيِّدي ، أتيْتُ بِالقَضِيَّة
لأبْدَأ التَّحْقِيق ...

* * *

العَـرَقُ المَسْرُوقْ
وَالكَلِمُ المَوْقُوفُ في الحُلُـوقْ
وَالسَّمَّ فِي الارْحَـامْ
جَرِيمَة عِقَـابُهَا الإعْـدَامْ
لَـوْ أنَّ فِي مدِينَتِي حُكَّـامْ ...

* * *

... وَارْتَجَّتِ الارضُ فَرَجَّتِ القلوبْ
وَقِيلَ قد أثْقَلَهَا الإنسانُ بالذنوبْ ..
وقلتُ مِنْ أجلِكِ يَا حُرِّيَّه :
مَا أحْوَجَ الإنسان في بِلادِنَا
لِرَجَّةٍ عقْلِيَّه ...

* * *

يَخْنُقُنِي الواقفُ تحتَ فَوْهَةِ المِزْرَابْ
يشربُ عُمْرَهُ دقيقة ، دقيقة ،
ويشربُ السَّرَابْ ..
والمَاءُ فِي أعْصَابِهِ ، ،
لو يحرقُ الاعْصَابْ
ويرفعُ الفأسَ التي يَحْمِلُهَا
فِي أعْيُنِ الاذنَابْ ...

* * *

مَدِينَتِي عَادَتْ إلى « أرْبَابِهَا »
وَانْقَلَبَتْ حِرْبَاءْ
تُعْطِي إشَارَةَ المرور في سَخَاءْ
لِكُلِّ مَنْ يُسْمِعُهَا مَدَائِحَ الزنَا ..
لَكِنَّنَا نحنُ الذينَ مِن فِطَامِنَا
جِبَاهُنَا السَّمَاءْ
وَصَوْتُنَا السَّمَاءْ
صِرْنَا بِحقْدِنَا ، ،
بِرَفْضِنَا ، ،
نَكْتُبُ فوقَ جِلْدِهَا قَصَائِدَ الفِدَاءْ ..

* * *

مَنْ يَقْتُلُ الاحلامَ في جُمْجُمَتِي ..
أحْلامِيَ المُنْتَظَرَه ؟
أمْسِ حَلُمْتُ بالامْطَارِ ، يَا مَدِينَتِي ،
تَهْطُلُ فِي سَاحَاتِكِ المُسَوَّرَه
بالشَّعْبِ يُورِقُ فِي عُيُونِهِ الرَّمَادْ
وتزحفُ النَّارُ إلَى أعْصَابِهِ
فَيَعْظُمُ المِيلادْ ..
أمْسِ حَلُمْتُ ، يَا مَدِينَتِي ،
لِإنَّنِي أحْسَسْتُ فِي جَوَانِحِي
أسطورةَ الجِهَادْ ..

* * *

مُسَافِر إلَيْكِ فِي المَقَاطِعِ الثَّوْرِيَّة
تَخْنُقُنِي أظَافِرُ المَجَاعَه
تَشُدُّنِي إلَى تُرْبَتِهَا مَقَابِرُ القَنَاعَه
مُسَافِرٌ إلَيْكِ حتَّى المَوتِ
يَا حدائِق الحُرِيَّه ..

ط. ر.

مطالعات

صدر عن الدار التونسية للنشر

كتاب : القصة والرواية في تونس

تأليف : الدكتور محمد فريد غازى

عرض : جعفـــر مـــاجـــــد

اصدرت الدار التونسية للنشر دراسة بالفرنسية للبحاثة التونسى الدكتور محمد فريد غازى حول القصة والرواية فى تونس وقد اخترنا ا ننقدم هذه الدراسة لان موضوعها هو الانتاج القصصى التونسى فى اللغــة العــربية ، ومعلوم ان المرحوم محمد فريد غازى خلف آثارا جاهزة تنتظر النشر قد طال عليها العهد ، فكان ظهور هذه النشرية بشرى للذين يحز فى نفــوسهم ان تضيع جهود العاملين ، يشتمل الكتيب على 123 صفحة من الحجــم المتوسط ، تنقسم الى ثلاثة ابواب : 1) الذهنيــات التقليدية ، 2) الــوضع الاستعمــارى وظهور الرمز ، 3) القدر الانسانى فى القصة والرواية ، وفاجأ المرحوم غازى قراءه بهذا الاعتراف: «مضى على زمن طويل لم أكن أظن فيه ان القصة التونسية توجد فى غير أدب المسعدى والدوعاجى حتى أثبت لدى البحث فى الصحف والدوريات التى ظهرت قبل سنة 1938 ان هذا اللون الادبى موجــود عندنــا واحيانا بكثرة ظهرت المقامة فى شكلها الطريف مع محمود بيرم صاحب المقامة المعجونية والمقامة العتروسية والمقامة الزفتية ، الا ان الادب الخيالى لم يبــرز للوجود قبل الحماية الفرنسية باستثناء بعضالقطعالمنشورة بالرائد التونسى»، ويمكن القول ان الرواية التونسية ولدت مع مجلة العالم الادبى لزين العابدين السنوسى التى يجعلها غازى فى عداد المجلات الرومنطيقية ، نشر السنوسى سنة 1930 قصة عنوانها (الحبيبة) بامضاء المحدث ، اثار فيها قضية الزواج على الطريقة القديمة فكانت تصويرا حقيقيا للاوضاع الاجتماعية وتناول فى أقصوصات اخرى موضوعات هامة مثل علاقة المرأة المسلمة بالاوربيين وعلاقة

الشبان التونسيين بالباريسيات الحسان واشار الدكتور غازى انه وجد الى جانب زين العابدين السنوسى قصاصا آخر ما زال مغمورا هو التيجانى بن سالم صاحب أقصوصة (هل كان مجنونا) وموضوعها علاقة غرامية بين تونسى وجارة ايطالية ، ويقول غازى ان التيجانى بن سالم كان مترجما بارعا نقل الى العربية كثيرا من الأقصوصات الاجنبية ·

اما محمد عبد الخالق وهو الاسم المستعار لمحمد البشروش فقد ظهرت مواهبه القصصية فى « زوجة أحمد شرودة » و « على العيارى » و « من تكون هذه الساحرة » و « البريئة » وغيرها من الاقصوصات ، وعرف فى هذا العهد قصاص آخر هو مصطفى خريف الذى نشرت له مجلة « العالم الادبى » : « دموع القمر » و « الحاج على » ويصل بنا الدكتور محمد فريد غازى الى جماعة « تحت السور » فيحدثنا عن (البانكة العريانة) ومجالس الكبادى ومطبعة العرب وعن الادب الغزير الذى ظهر فى ما بين 1933 و 1939 ، لا شك أن المعهد الصادقى سيعطى للادب التونسى خيرة قصاصية الا ان اسماء مثل الدوعاجى ومحمد العريبى وتوفيق بوغدير والهادى العبيدى طبعت عهد الثلاثينيات - فى القسم الثانى من هذه الدراسة ، اهتم محمد فريد غازى بظهور الادب الرمزى الذى كان يمثله محمود المسعدى ويرجع الكتاب جنوح صاحب السد للرمز الى ثقافته المتينة المتنوعة ، لقد كتب المسعدى للرد على طه حسين عندما عده متأثرا بكامو فقال : انه كان يقرأ أشهر المؤلفات وربما تأثر بنفس المصادر التى طبعت أدب كامو ، ورأى غازى فى « السد » اول محاولة عربية للتوفيق بين لغة عربية كلاسيكية وموضوع جديد ، اما (مولد النسيان) فابطاله يعيدون باسمائهم الى الذاكرة ازهى ايام العرب فى جاهليتهم ويقارن الباحث هذا الادب بما يشبهه فى الادب الغربى كأدب بودلير وفاليرى وقوته وكتب المسعدى لونا ثالثا سماه (أحاديث) منها حديث الكلب وحديث العدد وحديث القيامة وفى (السندباد والطهارة) نراه يتناول موضوعا آخر هو موضوع البحر والتاجر الذى حنكته التجارب وعرف من عجايب العالم ما يجعله يجسم شخصية سندباد ألف ليلة وليلة ، (والسندباد والطهارة) تعكس تأثر الكاتب باخبار الف ليلة وليلة اى بالثقافة العربية الاسلامية وخلاصة القول فى اغراض المسعدى انه كاتب لا يندرج فى دائرة الادباء الملتزمين ، الا ان دوره لم يكن سلبيا رغم وقوعه تحت ضغط ثقافته وجاذبية الماضى ، اما طرافته فتكمن بالخصوص فى لغته لغة فصحى تذكرنا بازهى عهود العربية مع تأثيرات من الغرب عن طريق كتاب أمثال مالارميه وفاليرى وقصاص ثان من اشهر قصاصينا هو « على الدعاجى » المتوفى سنة 1949 كان أدبه

تصويرا دقيقا لتونس فيما بين الحربين ، يمتاز الدعاجي بمرحه الذى يميزه عن كاتب مثل المازنى ولا أدل على ذلك من جولته حول حانات البحر المتوسط والفرق بينه وبين المسعدى ان الدوعاجي كاتب خالط الشعب بباب سويقة والحلفاوين وهذا لا يعنى انه لم يتأثر بالادب الغربى فكثيرا ما نجد عنده آثار همنغورى ولندن ويرى غازى ان الدعاجي أثار فى (سهرت منه الليالى) قضية المرأة فى المجتمع العربى بصورة مبكرة فصور الحياة التونسية الحضرية باسلوب بارع لا مجال فيه للاستطرادات التى عرف بها كتاب عصره ويمتاز الدعاجي بانه لا يضمر ايديولوجية معينة ، بل كان يصدر عن صدق مما ينبغى ان يؤهله ليكون فى عداد كبار القصاصين العرب ، وكتاب الاقصوصة من جيل المسعدى والدوعاجي كثيرون ، ذكر منهم غازى فى هذه الدراسة محمد العريبى الذى كان يجسم قلق الجيل ، وعبد الرزاق كرباكه الذى كان عنوان الرقة الحضرية ، نشرت له مجلة « الثريـا » (عبـرة فى قصـة) ، وهى عبارة عن نقد لاذع للمجتمع البورجـوازى الذى كان ينتسب اليه ، وتصور أقصوصات توفيـق بوغدير الحياة اليومية وللاخوين باكير ، عبد الوهاب ومحمد نماذج من الحياة التونسية القديمة ، كما جـاء ذلك فى (الحـلاق) و (يأكل الدنيا ويتسحر بالآخرة) و (المائدة) وفى هذا العهد ، ما زال محمد المرزوقى يبحث عن طريقه رغم انتاجه الغزير ، ويرى غازى ان المسعدى والدوعاجي ينتسبان الى جيل هرم لم تعد له صلة بالحياة الجديدة من اعلام الجيل الجديد البشير خـريف صاحب (افلاس أو حبك دربانى) وقد تنبأ الباحث منذ ذلك العهد للبشير خريف بزعامة الاتجاه المعاصر فى كتابة القصة بتونس ولم يكن البشير خريف حديث العهد بالانتاج القصصى ، فقد كتب منذ سنة 1937 فى (الدستـور) ليلة الوطية ، ثم سكت عشر سنوات وكتب (افلاس أو حبك دربانى) ، وهى قصة شاب زيتونى ذى ثقافة تقليدية تفتح قلبه للحب ولـ (برق الليل) مكانة خاصة فى أدب البشير خريف ، ويمر محمد فـريد غـازى الى رشـاد الحمزاوى والطاهر قيقة والطيب التريكى ومحمد فرج الشاذلى وصالح القرمادى الذين يمثلون الاتجاه الثـورى فى القصـة ، وظهر الطـاهر قيقـة فى مجلة (المباحث) بفصول أدبية ثم فى (الندوة) وخاصة « الفكر » بأقصوصات ذات طابع شعبى ملتزم ، (مناجاة أبى جراب وموسى) و (بطن يتحدث) وتحت شعاع الشمس وصوت الارض ووصية ، كلها تكون عالما شعبيا يزخر بالعمال ويتناقض تماما مع عالم الحضر ويقدم نظرة خاصة الى المجتمع التونسى المتطور ومع الطيب التريكى فى (سالم الحوات) و (سعيد الحمال) نحيا حياة قروية صفاقسية ، ونشر التريكى « بالندوة » و « بالفكر » فلم ير فيه القراء كاتبا ملتزما مثل الطاهر قيقة ، بل فنانا يؤمن بنظرية الفن للفن ، اما أقصوصات

محمد فرج الشاذلى فهى من لون آخر ، (مصـرع صـالح) تلتزم بالقضية الوطنية فهى تصور ثائرا تونسيا لقى مصرعه اثناء ادائه لـواجبه المقـدس و (حامل الحقائب) لوحة عن قرية ساحلية ايام الكفاح و (وحـى العـودة) تصوير لثور شاب من الساحل يرمز حمله للكدرون الى تشبثه بطبقة اجتماعية خاصة تعيش خارج المدينة وهكذا نرى عند محمد فرج الشاذلى عالمين مختلفين، عالم التقليد وعالم التجديد والثورة المتفائلة وفى (طبيبان) ، صور طريقتين فى الطب التقليدى والطب الحديث و (دكتور القرية) نقد لاذع للطبيب الذى يأتى فى سيارته الفخمة غير شاعر بآلام منتظريه المساكين و (مواكب الايام) اثر اوحت به الثورة الجزائرية فى هذا اللون الادبى يدرج محمد فريد غازى (طرننـو) لمحمد رشاد الحمزاوى ، ولما ظهرت سنة 1960 مجلة « التجديد » برزت نخبة من الشبان لها طريقة فى الكتابة تميزهـا عن الجيـل السـابق الاقصوصة الاولى التى ظهرت فى العـدد الاول هى (الشيـات اى ماسـح الاحذية) لصالح القرمادى ، فالشيات رمز للطبقة الفقيرة و (سعيد او بذرة الحلفاوين) صورة عن الحياة التقليدية وفى (ميثاق السفينة) للمنجى الشملى نقد للمثقف التونسى الذى لم ينسجم مع مجتمعه ويخصص ومحمد فريد غازى الجزء الثالث من دراسته لما سماه القدر الانسانى فى الاقصوصة وفى القصة التونسية ، فالالوان التى وقع تحليلها فى القسمين الاولين لها علاقة بوضع البلاد ، اما اللون الانسانى فيتناول اغراضا لا علاقة لها بالمجتمع ، بل هى نقد للمثقف التونسى الذى لم ينسجم مع مجتمعه ويخصص محمد فريد غازى (رشيد الغالى) صاحب « لن أسائلك » و « من أمسى » و « اليها » و « قالت لى » و « الغبى » وكلها منشورة بـ « الفكر » وحسن نصر صاحب « الطفلة والعجوز » و « الطفل والسمكة » و « أبتسـم غـدا ؟ » و « دموع غـالية » و « الثور الذى خلفه أبى » واكتشف الباحث فى حسن نصر قصاصا ذا رقة شعرية وداعية من دعاة التجديد .

وتحدث الدكتور غازى عن نوع قصصى آخر ظهر سنة 1945 يمتاز بتصوير الوسط البرجوازى بالرغم من ان كاتبيه يعدون احيانا مع الاصناف المذكورة ، فى التحليل السابق من عناوين اللون البرجوازى « فنجان قهوة » و « مشكلة حسابية » (لتوفيق بوغدير) .

ويستمر الباحث فى استخراج بعض المضامين الاخرى ويرتب بمقتضاها اصنافا اخرى من القصص وتنتهى دراسته بغير خاتمة مما قد يدل على انها غير تامـة .

ولا شك ان الذين انتظروا ظهور هذه الدراسة قد ابتهجوا بها لانها مساهمة هامة فى التعريف بالانتاج القصصى التونسى ، فليت الدار التونسية للنشر تسعى الى اصدار كل ما خلفه الدكتور فريد غازى من الاعمال العلمية والادبية.

ج. م.

ندوة القرّاء

هذا اللون من الشعر تجديد ام افلاس ؟

بقلم : علي دب

بعض الصحف عندنا طغت عليها الصبغة التجارية فانساقت وراء المهاترات والمتاهات الفجة اللزجة وبدأت تنشر نوعا من الانتاج هو ترسبات الحضارة الغربية وتكلس التقليد الاعمى لبعض المواصفات الاجنبية وبالغت فى تشجيعه حتى وصل الامر الى درجة الزراية واذا عذرت مجلة الفكر باعتبارها ترفع شعار الفكر المفتوح لكل التجارب والافكار الادبية فان الاغراق فى هذا النمط ربما صار تحيزا والتزاما * وهذا ما لا يتمناه احد لهذه المجلة التى حملت مشعل الثقافة والادب فى بلدنا حقبة من ازهى سنوات تاريخنا الادبى والفكرى **

ولعل جماعة غير العمودى والحر كان لها القسط الوافر من هذا التشجيع· والاغرب من هذا ان تتعود هاته الفئة على الاطراء والمجاملة فصاروا كالاطفال المدللين لا يغلقون اجفانهم الا على هدهدات التقديس والاحترام وكلمات المديح تكال بلا ثمن فتوهموا انهم وصلوا الى المستوى الارفع · ومحنة النقد عندنا تكمن فى تبادل الشكر وتوزيع الثناء ·

وقد يتملك الانسان الضحك عندما يتصفح العدد الرابع من مجلة الفكر سنة 1970 فيجد فيه نقادا يفلسفون ــ غير العمودى والحر ــ والشيء المضحك فى هاته المهزلة او المحاولة ان ميزانهم المقترح يشبه تخطيط القلب بالكهرباء ، ولأكون امينا فاننى أنقل هنا هذا الخط البيانى الذى لا تراه الا عند مرضى القلوب او خبراء العلوم أو جماعة غير العمودى والحر ·

وقد كتبوا فوقهم والعهدة عليهم (1) ان هذا المؤشر يعنى الشطر الاول من البحر الطويل لكن يجب على الشاعر او القارىء ان يستشير طبيبا فى تقطيع البيت الشعرى · وبذلك يشتد ارتباطنا بالاطباء ــ لكثرة امراضنا وتنوعها ــ

---

* ان بعض الظن إثم (المجلة)

** ولن تزال بحول الله (المجلة)

(1) راجع الفكر عدد 4 1970 ص 36

ويقل هذا الارتباط بالادب • ولا شك أن هذه العملية ضرب من العبث لفريق من النقاد هم الوجه الثانى لعملة مزيفة تعبث بها أياد ذات مصالح مشتركة •

ولاكون واضحا فان جماعة غير العمودى والحر ارادت الظهـور بمظهـر الحركات الناضجة التى تبرز للوجود ولها فلسفة تسير عليها وتترصد خطاها• فقسموا انفسهم الى فريقين • فريق يدعى الشعر • وفريق يدعى النقد • بل جمع بعضهم بين المهنتين • وبذلك تكون هذه الحركـة حركـة شبـاب فى حراسة نقاد شباب • وهاته الخطوات من شانها ان تحفظ ديمومتها وتفـرض وجودهـا •

وتمت الخطة كما اراد لها اصحابها • وربما اوجدوا لانفسهم فريقا ثالثـا مندسا فى الصحافة كى ييسر لهم عملية النشر • وهكذا صرنا لا نرى صحيفة تخلو من هذا النمط بل أصبح من علامات عصرية المجلة او الجريدة ودليلا على جدتها وابتكارهـا •

ونحن لم نسمع الا من هؤلاء ان حركة خـرجت للوجـود بنقـادها • فمن البديهيات ان النقد متأخر عن الآثار الادبية • اما اذا سبقها أو واكبها فانه لا يعدو ان يكون تهريجا تسيره الاهواء وتتحكم فيه العواطف وتتملكه القبلية لا موضوعية فيه ولا خير يرجى منه •

وهذا النوع من النقد هو الآفة الكبرى فى ضحالة الآداب عند كل الامـم • والآداب الناضجة لم ترتق الا بالنقد الصارم البناء • اما التحزبات والعصبيات وتبادل الاطراء والتهانى فقد تنفع فى توطيد الصداقات لكنها لا تفلح فى بناء أدب •

وانا لا اقصد بالنقد التجريح أو النهش ــ معاذ الله ان يصير الناقد حيوانا مفترسا ــ ولكنى أود أن يكون للنقد دوافع انسانية وقومية باعتبار ان الادب ملك للشعب لا للافراد أو المؤسسات الاقطاعية فاذا حمل الناقد مثل هاتـه الروح فهو الغيور الحريص على المصلحة العامة • ومع الوعى الفنى الذى يمتلكه يصير ــ عند ممارسة النقد ــ مكتشفا للافاق التى ارتادها الاديب او الشاعر • ومن هنا يكون الناقد رابطة ضرورية بين القارىء والكاتب وحـارسا أمينـا للنهضة الادبية •

انبه الى هذا بمناسبة الحملة الجائرة المسعورة التى شنت على لانى قلت ما

اعتقدت ولم أكن مدفوعا بصداقات أو حب ظهور ولم تكن لى أغراض شخصية مع أحد • بل لا أعرف حتى الاشخاص الذين ذكرتهم فى مقالى السابق (1) وماراعنى الا والسيد الطاهر الهمامي يحاول سلقي بلسان حاد وكلمات لا اسمح لنفسي باعادتها(2) • والسب والشتم حجة سهلة • كما أن الغرور والادعاء حجة اسهل « والذى يقف على رأسه يرى كل الناس مقلوبين فيتوهم انه العادى وهم الشاذون •• كما توهم الهمامي انه يكتفى بالخلق الفنى ولا يتدحرج الى مستوى الردود • واى خلق فنى جاءت به هاته الفئة من ادعياء الشعر وقاتلى الحرف •

وفى هذا المقال سوف ابدأ عملية المسح الاولى لهذا النمط غير انى قبل البداية لا بد أن أسجل ملاحظات عابرة •

1) ان الردود وردودها تقذف بالانسان فى متاهات فكرية غائمة لا يسهل الخروج منها •

2) ليس أحد منزها عن النقد والتقييم حتى بلزاك ومحفوظ وبقية الذين شبه بهم الاخ طاهر نفسه مع ما فى هذا الارتباط من الادعاء والغرور • ومع تمنياتى الصادقة له فى أن يصل الى درجة هؤلاء فان لهم سقطات ، والكمال لله وحده – وفى عملية تحد شهيرة من الشباب الادبى فى مصر كانت الاسماء فيها سرية نجح الشباب وسقط الشيوخ • نعم نجح الشباب وسقط نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم •

3) مقالى هذا ليس ردا وانما هو نظرة اولى الى هذا الشعر • وان لم يسعفنى الحظ بمواكبة هذا اللون من البداية حيث كنت بعيدا عن ارض الوطن فاننى قد اطلعت على نماذج كثيرة منه تخول لى الحكم عليه • ومع تأكيدى على الموضوعية فاننى أؤكد من جديد باننى **لست ناقدا او مدعيا الاكادمية والنظرة الفوقية بقدر ما أنا هاو للادب متذوق إياه • ولا أحمل مؤثرات داخلية أو خارجية ولا انتمى الى مدرسة من المدارس** • وفهمى وتذوقى للادب هما المعياران اللذان أهتدى بهما • مع اعتقادى ان الادب هو الصدق ، والاصالة والابداع • ولا يهمنى الا النص الادبى كما انى لا أود ولا ارتضى أن أحيى زمن النقائض • فزمانها قد ولى بدون رجعة مع جرير • والاخطل • والفرزدق

---

(1) الفكر عدد 3 ، سنة 1970

(2) راجع الفكر العدد 4 سنة 1971

مظهر الشعور بالنقص :

واول ما يطالعنا فى هذا اللون هو مظهر الشعور بالنقص والاحساس الصارخ بعدم الثقة والقاء التبعة على الادب القديم ٠ فعقدة القديم الذى لا يحسنونه ظاهرة بارزة فى انتاج هاته الجماعة ٠ فلا يستقر لاحدهم قرار الا اذا هاجم القديم ٠ ونلاحظ التهجمات محشورة فى اغلب نتاجهم وبلا سبب او مناسبة ٠ فكأنهم يرابطون على خطوط النار ٠ وهاته الظاهرة لا تبرز بحدة الا عند الشعور بالنقص ٠ فالقديم الذى لا يحسنون حتى الاستفادة منه عذبهم وأرقهم فاثروا نهشه بدل احترامه ومحاولة اثبات الشخصية الفنية الناضجة بدون اتهام للغير ٠ والملاحظ انهم لم يستطيعوا تغليف هجومهم بذكاء الفنان فهاجموا بجمود المتزمت ٠ وتعلقوا بالرفض المطلق والتطرف الاحمق ٠ وبذلك اثبتوا انهم متمردون لا ثوار ٠ وناقصون يحاولون الصعود على انقاض القديم ٠ فالقصيدة العمودية عند الهمامي :

عمودية أفقية ٠٠٠ نفاثة فى العقد ٠٠٠ حمالة للشر وجلابة للنكد (I) ٠
ترى من جلب الشر للآخر القصيدة العمودية ام الشاعر العصرى ؟

وتظهر العقدة فى الاتهام المضاد من باب قولهم : اذا كنت مذنبا فقاض الناس قبل ان يقاضوك ٠٠

ويصرح الشاعر بان القصيدة العمودية تناصبه العداء وتحاصره أو بالاحرى يقف عاجزا امام اسوارها كالمقاتل الكسول الذى لا يحسن الا الشتم :

تناصبنى العداء ٠٠٠ تضرب على الحصار ٠٠٠ عجوز شمطاء تدعى انى بلا هوية (I) ٠

وهذا المقطع ذكرنى بقول الشاعر القديم :

وسقى ديارك ، غير مفسدها ٠ بيض الغمام وديمة تهمى

وقد يعجب القارىء من هذا التلاقى ولكنى انبهه الى التأمل فى المعنيين ٠ فكلا الشاعرين قد وقف على الاطلال ٠

فالشاعر القديم وقف على ديار حبيبته ودعا لها بالغيث النافع عندما استدرك بتلك الجملة الاعتراضية الذكية ، غير مفسدها ــ ولم يكن هذا الاستدراك عملا

(I) الفكــر عدد 6 ، ص 69 سنة 1969

عشوائيا ، بل كان تخطيطا واعيا • فالشاعر قصد ديمومة شخوص هاته الديار ليسهل الاهتداء اليها • واثبت وفاءه للعهد حتى مع الاطلال الدوارس • وهي نظرة انسانية من جاهلي جلف •

وشاعرنا العصري المجدد — الذي يعيش على وهم الخلق الفني — وقف على اطلال القصيدة العربية القديمة لا ليترحم على عصرها الذهبي أو حتى يذكر الاموات بخير • بل ليشتم ويسب فكانه الابن الذي حرمه أبوه من الميراث وكلما مر بقبر هذا الأب يطيل الوقوف لا ليترحم بل ليبصق وهكذا رجع بنا المحدثون الثائرون الى الاطلال • مع ملاحظة ان الطلل عند الجاهلي وسيلة والطلل عند المحدثين غاية •

أما السيد الحبيب الزناد فينعت الشعراء القدامى بعارضي الازياء المريضة•

وقد يعترض المعترضون •• من عارضي الازياء ••• والعروض المريضة (1) ترى هل أبطل الشاعر الحديث عرض الازياء أم أبطل العروض القديمة ليرتدى « موضة » اخرى تناسب العصر ؟•

ولعل تهجم الآنسة فضيلة الشابي فيه بعض البراعة ولاول مرة يظهر صوت من هاته الاصوات له القدرة على اخفات تهجمه المكشوف فلم تسرد الشاعرة اللعنات بل غلفتها بذكاء وان اعترفت بان هاته الاصوات ليست للتجديد وانما هي تعبير عن الغضب ، والغضب لا يلبث ان يهدأ : اصوات رفض للموت •• أصوات لغة الارض وتحطيم للمدى ••• اصوات لغة الغضب (2) والهجوم على الشعر القديم في هذا الوقت ما هو الا زوبعة في كأس لان أمر القديم انتهى بعد ان ادى دوره بكل جدارة • والاصوات التي تعيش بيننا الان وتمارس هذا النمط ما هي في الواقع الا صدى للماضي واجترار للمضامين المتآكلة • وتسلم مقاليد الشعر شعراء الحر الذين اثبت الكثير منهم بعد جهاد مشرف ، انهم الاصوات الخلاقة والدماء الشابة لشيخوخة الشعر العربي والعصب النابض لترهل هذا الشعر •

غير ان باب التجديد لم يغلق والكمال في الادب صعب المنال لكنه ليس سهل الولوج • والا دخله كل مدع وضاعت الحقائق وسط زوابع التهريج والخلق المزعوم •

وجماعة غير العمودي والحر اول من يعلم ان اشعارها لا جدوى منها بل هي

---

(1) المجزوم بلم ص 32

(2) الفكر عدد 6 ، ص 59 سنة 1970

عملية يائسة لقتل الفراغ وايسر السبل لابراز الاسماء فوق اعمدة الجرائد والمجلات · اما المعاناة والخلق فامر لا يخطر حتى على اذهانهم :

قصائدي لا قصد منها ··· فهي مقصودة لذاتها ·

فليست جنودا مجندة ··· ولا اعمالا باقية خالدة (1) ··

وهكذا شهد شاهد من اهله بان هاته الاعمال ليست خالدة ولا ينبغي ان تكون خالدة لانها **تفتقر الى صفات الخلود الاساسية وهي : الوعي والعمــق والاحساس الفني الاصيل** · ويظهر أن جماعة غير العمودي والحـر يشعرون بضآلتهم وتفاهة اعمالهم لانسداد آفاق الابداع أمـامهم · ولعل خـوفهم من القراء هو الذي أوقعهم في المهزلة · مهزلة القافية بدون تفاعيل · والتفعيلة هي حجر الاساس في الايقاع الموسيقي والذبذبات الوترية لانفعالات الصوت · وما القافية الا العامل المساعد في التنغيم الشعري · بيد أنها أيسر من العروض لاعتمادها على الثراء اللغوي · اما العروض فيعتمد على الاذن الموسيقية وآذان هؤلاء القوم « فيها وقر » فاخذوا بمبدأ القافية الجزئية :

جسمك المتجبر جوعي ··· جسمك المتجبر تجويعي ····

جسمك الجائع طاعتي وخضوعي (2)

فهذا الصراخ الجنسي العاري وهاته القافية المتحجرة دفعا بالشاعر فـي بوتقة الجمود والتردي فصار كلامه كالمحاولات الصبيانية لتقليد احد الخطباء القـــدامى :

الليل نهار مصلوب ··· كلب مكلوب ··· حبر مسكوب ··· خبز مسلوب ثوب مثقـــوب ··· جيب منقوب (3)

والذي حافظ على القافية الجزئية منهم تناسى ان الكلام اذا خلا من التفعيلة وتقيد بالقافية استحال الشعر الى سجع مبحوح يشبه كلام الكهان وخطبـــاء المناسبات الدينية ويفتقر الى حرارة الايقاع ومسحة الحيوية ونبض الحياة ·

---

(1) الفكر ص 60 العدد 9 سنة 1970

(2) الفكر ص 46 العدد 6 سنة 1970

(3) المجـزوم بلـم ص 22

الغمـوض والسطحيـة :

وهذا الشعر امتاز بظاهرتين وجودهما فى حد ذاته يعتبر تناقضا حـادا ومفارقة لا مبرر لوجودها وهما الغموض والسطحية٠وانا افترض أن الغموض تولد عن السطحية ٠ فهذا النفور من الواقع والهروب من الذات مع انعـدام المنهج الذى يسار عليه هو الذى ولد الغموض فالسرد المباشر قد يتوهمه البعض فلسفة جديدة ويستبعد الاخذ بظاهره لان هذا الظاهر لا باطن لـه فيضفى عليه امتدادا ذاتيا وبذلك يصبح القارىء مجتهدا وهو فى الواقع لا يفسر الا افتراضاته الخاصة ذات النية الطيبة كان هؤلاء الجماعة لهم القدرة عـلى الخلق والابداع وهم فى الواقع يتخبطون فى السطحية الجافة والمواصفات التقريرية العجفاء ٠

ولعل الظاهرتين تتضحان فى قصيدة الزنـاد « مـاء وطيـن » فبعـد ان يستعرض الكرى والخشب الذى ذكره بامرأة أبى لهب وذلتها المزعومة يشعر بكثرة الحشو فيقول فى لهجة الوعاظ والمداحين من اصحاب حلقات الذكر :

لكن لا علينا لنعد الى ما كنا فيه ٠٠٠ فلا نتيه ٠٠٠

قلنا والقول لنا ٠٠٠ والكلام علينا (*) ٠

ألا يذكرنا هذا المقطع بتلك الجملة المحفوظة التى اعتاد القصاصون الشعبيون تمطيط شفاههم ومضمضتها بها :

قلنا يا سادة يا مادة ٠٠٠ الله يميتنا ويميتكم على الشهادة ٠

وهل يجد القارىء فرقا بين هاته الاستراحة الشعبية وبين مقطع السيد الحبيب الزناد ؟ ويذهب الشاعر فى هذا المقطع مع شطحات ينفلت فيها من فيلق السلام الى رقص الفئران والخمور المترقرقة والريح الشاهقة والحمير الناهقة والحانة الاندلسية والعربية والبربرية ولا ينسى التهجم على القصيدة العربية فتلك عقدة القوم المستعصية وداؤهم المزمن ٠ ويختم هاته القصيدة باعتراف بديهى ان هذا الشعر لا قيمة له بل هو معجون عجنه فى غفوة نعاس :

كلامى مرسل معجون ٠٠٠ فيه ثورة وجنون ٠٠٠ وانـا حـزين يهـزنى النعاس (I) ٠

(I) المجزوم بلم ص 29 ٠

(I) المجزوم بلم ص 33 ٠

ومن هنا جاء الغموض فالشاعر ينتقل من خاطرة الى خاطرة بلا مبرر وان نبهنا الى انه يكتب فى حالة نعاس او اضغاث احلام ويريدنا ان نفهم ما يقول ·

واغلب قصائد غير العمود والحر تلاحظ فيها هذا الغموض والتعتيم الفكرى الذى لا وعى فيه · ونحن نقع فى الخطأ اذا حاولنا فلسفة هاته المحاولات فهى لا تحمل فلسفة وقد عبر الزناد عن هذه الحقيقة :

قصائدى شكلية ··· قصائدى عصرية ·

قصائدى لا قصد لها ··· فهى مقصودة لذاتها (2) ·

واذا كانت هذه القصائد بلا قصد فمن اين جاء هذا الغموض ؟

لا شك انه تأتى من السطحية والتناول المباشر « ومن كثرة الظهور الخفاء » وقد نتساءل هل جماعة غير العمودى والحر من مدرسة « الفن للفن » ·

تلك المدرسة الارستقراطية التى تشاغلت عن مجتمعاتها بلوك الالفاظ القارة وتلهت بأدب الترف والتخمة المادية هؤلاء الادباء وصفهم سارتر « بانهم انحدروا من اصل برجوازى ومارسوا اغراء اللامسؤولية فنادرا ما يقيم احدهم علاقة بين اثاره وقيمتها المادية · فمن جهة يكتب لنفسه ومن جهة اخرى يعطى مالا فكأنه طالب يتمتع بمنحة دراسية اكثر مما يعتبر نفسه عاملا يأخذ ثمن اتعابه فهدف هؤلاء القوم واحد واصلهم واحد واثارهم لا تخدم المجتمع (3) » ·

واذا كانت اشعار الحبيب الزناد والطاهر الهمامى بالسطحية الغامضة فى كثير من الاحيان فان فضيلة الشابى اغرقت انتاجها فى هاته الضبابية والتعتيم فكأنها تريد رمى القارىء فى دوامة اللاوعى وكابوس الوهم وابعاده عن الواقع المرئى · وكأنها تتناسى مهمة الشاعر الحقيقية وهى اجتلاء الافاق وارتياد المجاهل لهداية القارىء فرسالة الشاعر انسانية وليست عقبة فى سبيل الفهم ، وعندما ينقلب الشعر مشكلة يصبح الشاعر حاويا من الحواة يستعرض العابه امام النظارة فيرعبهم بخفته المدهشة لكنهم لا يخرجون الا بالاساطير والاستغراب وقلب الشفاه ومن يقرأ قصائد الآنسة فضيلة « زهور المجاعة » و « اتذكر » و « عرفت خطاى لغة المنفى » لا يخرج باشياء واضحة :

---

(2) « الفكر » ص 60 ـ عدد 9 ـ 1970 ·

(3) جان بول سارتر ـ الادب والالتزام ·

أتذكر حينما صنعت كرسيا قرب الشمس ... كنا نضحك ...
لاننا نسينا ان نحمل معنا حطب الارض .
أتذكر كيف انفجر العالم كزهرة ... انفجاره كان رائعا رائعا (1) .

هل فهمتم شيئا من انفجار العالم . وروعة الزهور . وهاته الزهرة التى منحت للشاعرة . هل هى بقايا الاحياء من العالم المتفرقع أم هى وسام يهديه لها إله الحرب ؟

الاطـار الجمـالى :

وهذا اللون من الشعر تنقصه الأطر الجمالية التى تنقى الكلمة من شوائب الماضى وسوقية الحاضر وتبرز الصورة الموحية المعبرة التى تجعل من الشعـر وسيلة لمعرفة العالم الجمالى وطريقا لاكتشاف المصادر الثرة فى الكائن البشرى والصورة هى الرابطة الطبيعية الوثيقة بين خلق الشاعر ووعى القارىء . أمـا الكلمات التى تتدحرج من السنة العوام فلا موضع لها فى الشعر . الا اذا كان مقطعا من الشعر الشعبى أو الامثلة الشعبية ولا بد ان يكون فى المكان المناسب والاشارة اليه وسيلة من وسائل الشاعر للربط بين عالمه الشعرى والعـالم الثـانى .

اما اذا قصدت العامية لذاتها فهذا عجز فاضح . وهـل الشـاعر الحقيقى عاجز عن صقل لغته والارتفاع بها الى مستوى الايحاء بدون عامية وهل هـو عاجز عن بعث الحرارة فيها واعادة النبض لها . فاذا عجز عن هذا فأولى به ان يعجز عن الخلق الشعرى . والعامية المبتذلة . والكلام الصفيق ينزلقان بالشاعر الى مهاوى المتسكعين والشذاذ .

فالاطار الجمالى هو غلاف المظروف ولا يستسيغ أحدنا ان تقدم له رسالـة غارقة فى الوحل والتلويث ولا بضاعة فى غلاف قذر متآكل . والاطار الجميل يسهل على القارىء الحكم والفهم .

وغير العمودى والحر ظهرت فيـه جمـود الكلمـة وصفاقتهـا وسوقيتهـا وابتذالها . فالطاهر الهمامى يقول فى سطحية مترجرجة . وسب هجين :

---

(1) « الفكر » ص 50 ـ عدد 1 ـ 1969 .

عجلات مطاط .

وعربة للسواقط والساقطين والسقاط (١) .

والصورة المضيئة المبتكرة ذات الالوان المختلفة من امتيازات الشعر الحديث ولا تكون الصورة الا باللفظ . فالصورة والالفاظ رباطهما وثيق ولا أقصد الاضاءة المعنوية بل الاضاءة الشكلية . فامتزاج الالفاظ وتناسقها وتصميم الشاعر لها يضفي مسحة تختلف باختلاف تخيلات الشاعر وتصوراته وتبين قدرة امتلاكه للزاد وقدرة استفادته مما يمتلك ومدى اخراجه وحركيته مع البحث عن المعاني التي لم تخلق بعد وربطها بواقع الانسان المعاصر . انسان هذا القرن بانحداراته القاتلة وذبذبته الحضارية العائمة المهزوزة . وتشككه المهزوم وتشبثه بعالم المادة الطاغي . وتعليل التململات الثورية وحركات الشباب المتطرفة . إن شاعرنا الحديث اذا وصل الى هذا المستوى يمكن ان نقول انه بدأ يخطو نحو التجديد والابداع وبدأ معاصرة واقعه المحلي والعالمي والشعر اذا أسقط من قاموسه الكلمة الموحية فقد سقط الى مستوى النثر العلمي كما ان الشعر اذا انحط الى مستوى العامية ابتذل وركدت سوقه وصار الشاعر ككاتب الرسالة أو مذيع نشرة الاخبار .

ان المركبات يجب ان لا تعمينا عن الحقائق والشعور بالنقص لا يجدينا معه الفرار من الواقع والاعتراف بالجرم . والآن ونحن على عتبة التغير احرى بنا ان نواجه انفسنا بكل صراحة وان نقف امام مراياتنا اذا وصلنا الى هذه المرحلة مرحلة الغربلة والنقد الذاتي والتخلص من شوائب الادعاء والغرور فسنصل الى مستوى الاحساس بالمسؤولية مسؤوليتنا نحو الاجيال ومسؤوليتنا أمام أنفسنا كطليعة مثقفة وبالتالي سنصل الى نتائج مرضية من النضج الفكري الذي قد يصل بنا الى احد الروافد العالمية .

ولا بد ان نؤمن ان الشعر شعر والنثر نثر ولن يلتقيا مهما حاولنا التقريب بينهما ويوم ان يلتقيا يجب ان يزول اسم احدهما مع كل مفاهيمه .

وقبل ان انهي مقالي لا بد ان ألاحظ :

١) ان انسياق جماعة من شعرائنا الجادين الذين لهم قدم راسخة في ميدان

---

(١) « الفكر » ص 69 ـ عدد 6 ـ 1970 .

الشعر امثال السيدين نور الدين صمود وأحمد القديدي فى تيار جماعة غير العمودي والحر أمر مستغرب ومثير للدهشة • فقد لاحظت أحمد القديدي يكتب قصيدة من الشعر الحر ويضع فوقها « فى غير العمودى والحر » (*) ونور الدين صمود يكتب فوق قصيدة له « ألوان جديدة » ، فكأن العناوين واجهات تجارية تعرض فيها السلع العصرية • وكأنهم لم يدركوا بعد ان جماعة « غير العمودى والحر » فئة حاقدة يلتهمها الياس ويشدها العقم الذاتى•

2) ليس عندى تعريف لهاته القصائد الا انها قصائد **اسفنجية رخوة لا تثبت أمام الاختبار لها ملوحة السباخ وجدبها واعمال طائشة من شباب يهدهدهم الكبرياء الزائف ويلفهم الضياع والتيه** ويبحثون عن انفسهم المنسوخة وسط هذا التداخل الفكرى والعبث اللفظى والدماء الشابة لا تكفى وحدها للقيام بالثورات فلا بد من الوسيلة والامكانية • واذا فتش الثائر عن وسيلة الثورة وآمن بها فلن يعدمها وقد وجدت الوسائل من عهد سبارتاكيس الى عصر ڤيفارا •

3) دعاوى الخلق والابداع لا تقيم أدبا جديدا ولا تنير الطريق أمام السائرين فى دروب البحث عن الجدة والجودة وتبقى الكلمة الاخيرة للقراء فهم المقياس الحقيقى للجد والهزل • والعبء الكبير ملقى على كواهل نقادنا فهم الذين يقربون بين الكاتب والقارىء أو بين المنتج والمستهلك • ويجب ان يحدث التقارب واطالة الحوار وسماع وجهات النظر والا وقع الاستغلال وادعى كل فريق أنه الضحية وكلاهما ضحية الشاعر يعيش فى ابراج الوهم والقارىء يتحصن فى قواقع الرفض •

ع• د•
أستاذ بمدرسة ترشيح المعلمين
المنستير

(*) تسرب خطأ بالنسبة لأحمد القديدى لا يحمل عليه • (المجلة) •

أنا وزوجتى

شعر : عمر السعيدى الغريبى

قالت : أريدك لى أنا وحدى ليزهر روض قلبى
فالشعر ، والمتخاصمون مشوا على اشلاء حبى
وطغى قتاد « عراكهم » حتى التقى فى قلب دربى
إنى أريدك لى أنا قبل الصغار وقبل ربى

* * *

وبناتنا ؟
قالت : أولى بحبك من بناتى !
أو لم تقل لى مرة : الحب أكسير الحياة ؟
فأجبتها بتأوه : الحب روح الكائنات
ولأجله يا أم أكبادى وهبت لك « م » حياتى

* * *

فأنا أعانق طفلتى كى أطمئن على هوانا
وأضمها ، وأضم فيها كل من فقد الحنانا
وأحس وقتئذ كأنى صرت روحا لا كيانا
وإذا هممت بوصف حبى لم أجد أبدا بيانا

* * *

وألوذ بالقلم الحبيب وأرتمى بين الحروف
وأظل أفتح أضلعى لليائسين من الرغيف
الراكضين وراء آمال عجاف كالطيوف
حتى أراهم يلتجون لخافقى بعد الحريف

ع٠ س٠ غ٠

بريد القراء

لا تنتهى كتابتى

شعر : محمد الشابى

ما زال
قلبى يخفق ..
والشمس عندى ،
تشرق ..
فالوجد ، خلف
أظلعى : مجدد ..
معمق ..

ما زلت
أكتب الحكاية التى
أعتنق ..
لا تنتهى
كتابتى .. ما دام قلبى
يعشق ..

ما زلت أطوى
أملا .. وأدعى ..
وأخلق !.
فى أفقى ..
أفتح ألف
كوة .. وأغلق ..

ما زلت أجرى
مسرعا .. مشاعرى
تحترق ..
حقائبى مملوءة ..
أثقالها
كم ترهق !.

ما زال فى
كتابتى ..
يؤلمنى التمزق ..
فى مدن الأشعار
لم أجد : حروفا
تنطق ..
تنقل عنى
خبرى .. تعيشنى
فتصدق ..

ما زال فى
محبتى ، عندى
رجاء
عبق ..

م. ش.
دقة الأثرية فى جوان 70

أضواء الفكر

◆ **دعوة مؤتمر المستشرقين الدولى :**

قرر المجمع اللغوى دعوة المستشرقين الدولى لعقد مؤتمرهم القادم فى القاهرة ، بعد ان استمع الى تقرير أمينه العام الدكتور ابراهيم مدكور الذى مثله فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد منذ شهرين فى كمبرا بأستراليا ولاحظ أنه وعضو عربى آخر مثلا كافة البلدان العربية بينما مثل الهند وحدها 100 عالم ٠

◆ **طه حسين يرأس المجمع اللغوى :**

من بين الذين حضروا الجلسة الافتتاحية لدورة المجمع اللغوى لهذه السنة (15 فيفرى) من رأى طه حسين ، وقد أنهكه المرض وهو ابن الثانية والثمانين ، ينزل من سيارته باعانة أصدقائه وزوجته الوفية ويجلس على مقعد فيحمله اثنان حتى منصة الشرف حيث يتبوأ كرسى الرئاسة بين وزير الثقافة المصرية وأمين المجمع الدكتور ابراهيم مدكور ٠

وكان عظيما جليلا فى تحديه المرض وتجاوزه الآلام واضطلاعه بالمسؤولية العلمية !

◆ **المجمع اللغوى يؤبن الفقيد الفاضل بن عاشور :**

عقد المجمع اللغوى المصرى جلسة خاصة يوم الخميس 18 فيفرى الماضى بقاعة الجلسات بمقر الجامعة العربية لتأبين أحد أعضائه البارزين منذ 1960 المرحوم محمد الفاضل بن عاشور ٠ وألقى بهذه المناسبة الامين العام للمجمع الدكتور ابراهيم مدكور دراسة مطولة استعرض فيها حياة الفقيد وجهاده فى سبيل تجديد الدين وبعث العلوم الاسلامية وخدمة الآداب العربية ثم أنشد الشاعر محمد عزيز اباظة مرثية مؤثرة وتلاه الشيخ محمد الحبيب بلخوجة فأطنب فى ذكر مناقب الشيخ الفاضل رحمه الله وتعداد شمائله وما أسداه للدين والوطن والعالم الاسلامى عامة من جليل الخدمات وأخيرا تلا الاستاذ عبد الكريم العزباوى مدير المجمع الكلمة التى بعث بها فى هذه المناسبة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور والد المرحوم الشيخ الفاضل وقد تركت أثرا بالغا فى الحاضرين ٠

◆ **ترشيح طه حسين لجائزة نوبل :**

أفادت الاهرام ان المجمع اللغوى قرر بالاجماع ترشيح طه حسين لجائزة

نوبل لهذا العام كما أفادت أن مركز الدراسات الشرقية بأورغـواى سيقيم مهرجانا أدبيا كبيرا لعميد الأدب العربى برعاية هيئـة اليونسكـو العـالمية تتخلله ندوة أكادمية لتحليل أعماله ويقام أثناءها معرض لكتبه •

◆ **متى نهتم بالتعريف بأدبنا فى الخارج ؟**

تصدر فى ألمانيا الشرقية مجموعة قصصية لثلة من الادبـاء ينتسبون الى ست دول عـربية : مصـر (نجيب محفـوظ ، يحيى حقى ، عبـد الرحمـان الشرقاوى ، يوسف ادريس) ، لبنان (ميخائيل نعيمة) ، السودان (الطيب صالح) ، سوريا (عبد السلام العجيلى ، زكرياء تامر) ، فلسطين (غسان كنفانى) ، العراق (خليفة الطفيلى) •

فمتى نولى ـ نحن فى تونس ـ هذا الميدان ما يستحق من العناية ونوثق العلاقات الثقافية مع الخارج ونوفر لانتاجنا الادبى أسباب الترجمة والنشر ؟ لكن هل ان جميع من يهمهم الامر مقتنعون بجدوى مثل هذا المجهود ؛ تلك هى المسـألة •

◆ **استخدام اللغة العربية فى اليونسكو :**

صوتت اللجنة الادارية للمؤتمر العام فى التاسع والعشرين من اكتوبر / تشرين الاول على استخدام اللغة العربية لغة عمل فى اليونسكو ومعـاملتها معاملة المثل مع لغات العمل الاربع الاخرى • وقد تبنت هذا المشروع 22 دولة وظفر مشروع القرار باثنين وستين صوتا ، ضد صوت واحـد ، وامتنـاع عشرة عن التصويت •

وكانت الدول التى تبنت المشروع هى : افغانستان ، بوليفيا ، الكامرون ، جمهورية افريقيا الوسطى ، كولومبيا ، كوبا ، الهند ، العراق ، جمايكا ، الاردن ، الكويت ، لبنان ، المكسيك ، المغرب ، النيجر ، باكستان ، بيرو ، رومانيا ، السنغال ، تركيا ، الجمهورية العربية المتحدة ، ويوغسلافيا •

وكان من الوفود التى ايدت المشروع : جمهورية المانيا الاتحادية ، داهومى ، غينيا ، وجمهورية فييتنام •

وكانت الولايات المتحدة هى التى عبرت عن معارضة شديدة للمصروفات المقترحة لتوسيع استخدام اللغة العربية وامتنعت عن التصويت كما فعلت فرنسا • هذا ، وعند موافقة المؤتمر العام على هذا القرار فان تطبيقه يبدأ فى العامين 1973 ـ 1974 •

عن نشرية انباء اليونسكو

◆ وردت على المجلة مجموعة قصصية للكاتب المغربى أحمـد المديكنى بعنـوان العنف فى الدماع من منشورات الاطلنط •